اجاثا كريستي



المتهمة البريئة

تقف "إلينور كاريسل" الجميلة الصغيرة هادئة في قفص الاتهام، متهمة بقتل "ماري جيرارد"، منافستها في الحب. إن الدليل ضئيل القيمة: "إلينور" هي الوحيدة التي كان لديها الدافع، والفرصة، والوسيلة للتحكم في السُّم المميت. ومع ذلك، داخل قاعة المحكمة العدائية، ما يزال يفترض رجل أن "إلينور" بريئة حتى تثبت إدانتها؛ إن "هرقل بوارو" هو كل ما يقف بين "إلينور" والمشنقة...

أجاثا كريستي

- ☐ الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.
- ☐ بيع من كتبها أكثر من 650 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- ☐ كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنّها تقول "إني إنجليزية". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال

DAR MUSIC FOR PRESS, PRINTING, PUBLISHING & DISTRIBUTION, S.A.R.L. JOUNIEH - LEBANON
ISBN 9953-38-204-2
9 789953 382043

المتهمة البريئة

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرَّبة

المتهمة البريئة

(80)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

المركز الدولي

للصحافة والنشر والتوزيع ش.م.م.

ص.ب 374 جونيه - لبنان

تلفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

البريد الإلكتروني info@darmusic.net

www.darmusic.net

قام بعون الله الأستاذان / **شريف عبده عبد الرشيد - محمد محمد الجندي**

مشكورين بمراجعة هذا الكتاب وتدقيقه وتصويب أخطائه اللغوية والمطبعية.

الإسم الأصلي للرواية

Sad Cypress

(1940)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

مقدمة

"**اليانور كاثرين كارليسل**" .. أنت متهمة بقتل "**ماري جيرارد**" في اليوم السابع والعشرين من شهر تموز (يوليو) الماضي. فهل أنت مذنبة أو غير مذنبة؟

ووقفت "**اليانور كارليسل**" منتصبة القامة، وقد رفعت رأسها الجميل المتسم بالنبل.. وكانت زرقاء العينين، سوداء الشعر، رفيعة الحاجبين.

ومرت فترة سكون.. سكون ملحوظ.. وشعر محامي الدفاع السيد "**أدوين بولمر**" بنوبة من اليأس.. دفعته إلى التفكير.

– يا إلهي! إنها ستعترف.. لقد فقدت أعصابها. وانفرجت شفتا "**اليانور كارليسل**" لتقول:

– لست مذنبة.

وتهالك محامي الدفاع في مقعده ومر بمنديل على جبهته، وقد دار بخلده أنه نجا بأعجوبة من مأزق عصيب. أما ممثل الاتهام السيد "**صامويل آتينبري**" فقد نهض واقفا وراح يسرد وقائع القضية قائلاً:

« إذا سمحتم لي يا سيادة القاضي ويا حضرات المحلفين.. فإنني أود أن أذكر لكم أنه في اليوم السابع والعشرين من شهر تموز (يوليو)، وفي الساعة الثالثة والنصف مساء، ماتت "**ماري جيرارد**" في "**هنتربري**" بمقاطعة "**ميدنز فورد**.. » .

ومضى صوته رتيبا له وقع محبب إلى الآذان، حتى كاد يؤدي بـ"**اليانور**" إلى حالة تقرب من عدم الشعور، ولم يحتفظ عقلها الواعي إلا بجملة عرضية من التلخيص المبسط الدقيق الذي كان يلقيه ممثل الادعاء.

« فالقضية تمتاز ببساطتها.. ومن واجب الادعاء أن يثبت الدافع إلى الجريمة، فلا يوجد أحد– حسب إدراكنا– لديه أي دافع لقتل تلك الفتاة المسكينة

"**ماري جيرارد**" عدا المتهمة... فالقتيلة فتاة ذات شخصية جذابة محبوبة من الجميع، وليس لها عدو واحد على وجه الأرض..».

.. وإنني أود أن أوجه اهتمامكم إلى ما يلي:

1 – ما الإمكانات والوسائل التي كانت لدى المتهمة لتسميم القتيلة؟

2 – وأي دافع كان لديها للإقدام على ذلك؟

«.. أما فيما يتعلق بتسميم "**ماري جيرارد**" فإنني سأقدم إليكم ما يدل على أنه لم يكن لدى أي شخص فرصة لارتكاب تلك الجريمة سوى المتهمة..».

واخترقت تلك الكلمات الحاجز الكثيف الذي كان يحيط بأفكار "**اليانور**" وكأنها أشواك تخترق حجابا كثيفا خانقا. أما المحكمة فكان فيها صفوف من الوجوه.. ومن بينها وجه خاص له شارب أسود كبير، وعينان تدلان على الذكاء.. هو وجه "**هركيول بوارو**" وقد مال برأسه قليلاً. وراح يرقب "**اليانور**" بعينين تدلان على التفكير العميق.. وفكرت "**اليانور**" في أنه يحاول أن يعرف بالدقة لماذا ارتكبت تلك الجريمة: «إنه يحاول أن يصل بأفكاره إلى داخل رأسي؛ ليعرف ما فكرت فيه وما شعرت به.. إنني شعرت بصدمة مصحوبة باشمئزاز قليل. ثم وجه "**رودي**" ذلك الوجه الحبيب ذو الأنف الطويل، والفم الحساس.. "**رودي**".. "**رودي**" دائما ومنذ وعت ذاكرتي.. منذ تلك الأيام التي أمضيتها في "**هنتربري**" بين الشجيرات وعلى المرتفعات وبالقرب من الغدير.. "**رودي**".. "**رودي**"».

ومن الوجوه الأخرى.. وجه الممرضة "**أوبريان**" ذات الفم المفتوح قليلاً، والوجنة المتناثر عليها النمش، ووجه الممرضة "**هوبكنز**"، ووجه "**بيتر لورد**" الشفوق.. المدرك الحنون. إنه الآن يتسم بنظرة تنم عن الضيق.. لقد أثر فيه كل ذلك تأثيرا شديدا.. على حين أنها – وهي الشخصية الأولى – لا يهمها شيء... وكان ممثل الاتهام لا يزال يتكلم.. قال:

« .. فالوقائع في هذه القضية تتميز بالبساطة المتناهية، ولا يوجد من يعترض عليها، وسأعرضها عليكم في بساطة تامة، فمنذ البداية .. » وهنا مضت "**اليانور**" تفكر. «البداية .. البداية ..؟ لقد كانت البداية في ذلك اليوم الذي وصل فيه ذلك الخطاب البشع المرسل من مجهول».

- 1 -

خطاب من مجهول..!

وقفت "**اليانور كارليسل**" تنظر إلى الخطاب المفتوح في يدها، إنها لم يمر بها شيء مثل هذا من قبل.. لقد ترك في مشاعرها إحساسا غير حسن.. وكان الخطاب رديء الكتابة ومكتوبا على ورق رخيص.. وقد جاء به ما يلي:

« ... إنني أنذرك.. إني لا أذكر أسماء ، ولكن هناك من يحاول استغلال عمتك.. فإذا لم تأخذي حذرك فلن يكون من نصيبك شيء، والفتيات يتميزن بالحذق، أما السيدات العجائز فيتميزن بسهولة التأثير عليهن إذا ما تقربت الفتيات منهن وأمطرتهن بالزلفى.. وإنني أقول: إنه من الأفضل لك أن تبدئي بمعرفة ما يدور. فليس من الصواب بالنسبة إليك أن تحرمي مما هو خاص بك.. إنها ماهرة جداً. وقد تموت السيدة العجوز في أي وقت».

"**ناصح أمين**"

وكانت "**اليانور**" لا تزال تنظر إلى الخطاب باشمئزاز عندما فتح الباب، وأطلت الخادمة لتعلن مقدم السيد "**ويلمان**" وبعد هذا دخل "**رودي**" الحجرة. "**رودي**" الذي كلما وقعت عينا "**اليانور**" عليه أحست بدوار خفيف وهزة من سرور مفاجئ.

كان واضحا لديها أنها يجب أن تكون حذرة جداً. فالرجال لا يعجبون بالوله والهيام، ومن الطبيعي أن "**رودي**" واحد منهم، ولذا قالت في استخفاف:

– مرحبا.. "**رودي**" .

– مرحبا يا حبيبتي.. إن ملامحك تنطق بالقلق، فهل الأمر يتعلق "بفاتورة" واجبة الدفع؟ فهزت "**اليانور**" رأسها نفيا.. وقال "**رودي**" :

– لقد ظننت – ونحن في منتصف الصيف – أن الحسابات المستحقة تبدأ

"فواتيرها" في الانهمار.

– لا.. إنه أمر مزعج.. إنه خطاب من مجهول. وارتفع حاجبا "**رودي**" عجبا، وتغيرت ملامح وجهه وقال في استنكار:

– أحقًّا؟ وهنا اتجهت "**اليانور**" ناحية المكتب وهي تقول:

– أظن أنه من الأفضل أن أمزقه.. وكادت تفعل ذلك، ولكن سرعان ما غيرت رأيها وقالت:

– ربما يكون من الأفضل أن تقرأه أولا.. ثم تقوم بإحراقه بعد ذلك.. إنه خاص بعمتي "**لورا**".. ومرة أخرى ارتفع حاجبا "**رودي**" تعجبا وهو يقول:

– العمة "**لورا**"؟ ثم أخذ الخطاب وقرأه في امتعاض ثم أعاده إليها وقال:

– نعم.. لابد من إحراقه.. حقًّا، إن الناس مخلوقات غريبة...

– أتظن أنه من أحد الخدم؟ وتردد "**رودي**" قبل أن يجيب:

– أظن ذلك ولكني أعجب من يكون؟ من يكون الشخص المعني بالخطاب؟ أعني الشخص الذي يحاول استغلال عمتك؟ فأجابت "**اليانور**" بعد تفكير:

– لابد أن تكون "**ماري جيرارد**".

– "**ماري جيرارد**"؟ من هي؟

– إنها ابنة القوم الذين يقطنون الكوخ، ولابد أنك تذكرها عندما كانت طفلة. فقد كانت عمتي "**لورا**" شغوفة بها، وتبدي اهتماما بها، حتى أنها دفعت لها مصروفات مدرستها ومصروفات نثرية أخرى مثل: دروس في "البيان" والفرنسية وغيرها.

– آه! نعم، إنني أذكرها الآن.. كانت طفلة مخيفة. فأومأت "**اليانور**" برأسها وقالت:

– نعم.. ومن المحتمل أنك لم ترها منذ تلك العطلات الصيفية عندما كان كل من أبي وأمي خارج البلاد؛ إذ كنت تزورنا في "**هنتربري**" بصورة مستمرة،

وأذكـر أننا كنا نبحث عنهـا لتلعب مـعنا عنـدما كنا أطفـالا . . وهي قـد ذهبت أخيرا مرتين في زيارة لـ"**ألمانيا**" .

– وما شكلها الآن؟

– لقد تحولت فأصبحت جميلة ذات خصال طيبة وثقافة عالية. ولكنها ليست على علاقة حسنة مع والدها؛ إذ إنه كان يسخر منها . . من تعليمها ومن صلفها، أما أمها فإنها ماتت منذ سنوات. وصمتت "**اليانور**" قليلا ثم استطردت قائلة :

– أظن أنها تذهب إلى منزل عمتي كثيرا؛ لأنها تقرأ لها بصوت مرتفع منذ أصيبت بالنوبة المرضية الأخيرة .

– ولماذا لا تدع عمتك الممرضة تقرأ لها؟

– إن صوت الممرضة "**أوبريان**" أجش، ولذلك فإن عمتي "**لورا**" تفضل "**ماري**" عليها . ومرت دقيقة أو دقيقتان أمضاهما "**رودي**" في ذرع الحجرة جيئة وذهابا في سرعة قبل أن يقول :

– أتعلمين يا "**اليانور**" أنني أعتقد أنه من الواجب علينا أن نذهب إلى عمتك . ؟

– بسبب هذا؟

– لا . . لا . . يجب على المرء أن يكون صريحا . إن الخطاب ولا شك كريه . . ولكن قد يكون هناك بعض الصدق فيما جاء به . . أعني أن عمتك مريضة جداً و . . .

– لعلك على حق يا "**رودي**" . فنظر إليها وهو يبتسم ابتسامته الساحرة ثم أضاف :

– والنقود لها أهميتها . . لك ولي . . يا "**اليانور**" . . وأقرت "**اليانور**" بذلك في سرعة :

– نعم.. إنها مهمة.

– إنني لا أعني بذلك أنني مادي.. ولكن العمة "**لورا**" ذكرت مرارا وتكرارا أنك أنت وأنا نمثل عائلتها.. فأنت ابنة أخيها، وأنا ابن أخي زوجها.. ولقد ثبت في أذهاننا أننا سنرث كل ما تملك بعد موتها.

– نعم.. يا "**رودي**".. هذا صحيح.

– ليست العناية بـ"**هنتربري**" أمرا سهلا؛ فعمي "**هنري**" كان – على ما أظن– في سعة من العيش عندما قابل عمتك "**لورا**"، ولكنها كانت قد ورثت وقتئذ. وبذلك كانت هي ووالدك على درجة كبيرة من الغنى، ومع الأسف فقد والدك معظم ثروته بعد ذلك في المضاربات. وتنهدت "**اليانور**".. ومضى الشاب في حديثه. قائلاً:

– نعم.. إن عمتك "**لورا**" كانت تتمتع بذهن أفضل منه.. لقد تزوجت العم "**هنري**" ثم اشتريا "**هنتربري**"، ولقد ذكرت لي منذ مدة قصيرة أنها كانت سعيدة الحظ جداً في استثماراتها المالية.

– لقد ترك لها العم "**هنري**" كل ما يملك عندما مات.. أليس كذلك؟ وأومأ "**رودي**" برأسه إيجابا ثم قال:

– لقد كان موته المفاجئ كارثة، كما أنها لم تتزوج ثانية.. إنها لعجوز مخلصة.. وقد كانت دائماً طيبة معنا.. فلقد عاملتني دائما وكأني ابن أخ لها يمت لها بصلة الدم.. ولو وقعت في مأزق ما تأخرت عن مساعدتي، ولكن من حسن حظي أنني لم أقع في مأزق قط. وأضافت "**اليانور**":

– وكانت كريمة جداً معي أيضا.. وأومأ "**رودي**" تصديقا لقول "**اليانور**" ثم قال:

– إنها جوهرة.. ولكنني أظن أننا نحيا حياة بذخ.

– أظن ذلك.. إن كل شيء يحتاج إلى نقود.. الملابس.. والتجميل.. وأشياء

أخرى مثل دور السينما و"الكوكتيل" .

– إنني أحبك؛ لصراحتك، أحبك؛ لأنك رقيقة ومتعالية.. ولولا وجود العمة "**لورا**" لكان من المحتمل أن تقومي بعمل متعب تقيمين به أودك.. وكذلك الحال معي.. فلي عمل مع شركة "**لويس وهيوم**" ولو أنه غير مثير إلا أنه يلائمني ويحفظ عليَّ كرامتي وثقتي بنفسي. بيد أنني لا أخشى المستقبل اعتمادا على ما أنتظره من العمة "**لورا**" .

– هل تعني بذلك أننا ككلاب جشعة؟

– هراء .. لقد استقر في فهمنا أننا يوما ما.. سيكون لدينا مال.. هذا هو كل شيء، وهو بطبيعة الحال يؤثر في تصرفاتنا.

– لم تقل لنا العمة "**لورا**" من قبل بطريقة واضحة كيف ستترك أموالها.

– هذا لا يهم.. فالمحتمل أنها ستقوم بتقسيمها بيننا.. ولكن إذا كانت مثلا قد تركت كل مالها أو معظمه لك؛ لأنك قريبتها، فإنني مع ذلك سأتقاسمه معك؛ لأنني سأتزوجك.. وإذا كانت الحبيبة العجوز تظن أنه من الأفضل أن تذهب معظم ثروتها إلى الرجل كممثل لآل "**ويلمان**" فهذا حسن أيضًا، لأنك ستتزوجينني. وأتبع ذلك بابتسامة عريضة وهو ينظر إليها في إعزاز. ثم قال:

– ومن حسن الحظ أن كلا منا يحب الآخر.. إنك تحبينني.. أليس كذلك يا "**اليانور**" ؟

– بلى.

– إنني أظن أن زواجنا سيكون مثاليا.. فكل منا يحب الآخر باعتدال.. ونحن أيضا صديقان مخلصان.. ولنا ميول متوافقة.. ويعرف كل منا الآخر جيدا، ولنا كل المميزات التي يجب توافرها في أبناء العمومة بدون النقائص التي فيهم.. وإنني لا يمكن أن أشعر بالملل منك؛ لأنك مخلوق يصعب السيطرة عليه، أما أنت فقد تشعرين بالملل مني؛ لأنني شخص "عادي" . وهزت

"**اليانور**" رأسها لتقول:

– إنني لن أشعر بالملل منك قط يا "**رودي**" .

– يا حبيبتي. ثم قبلها.. وقال:

– إن لدى العمة "**لورا**" فكرة عما بيننا على ما أظن، ألا ترين أنه يحسن بنا الذهاب لزيارتها.؟

– هذا ما كنت أفكر فيه من أيام قلائل لأننا.. وأكمل "**رودي**" كلامها قائلاً:

– منذ أن أصيبت بتلك النوبة كنا نذهب إليها كل أسبوعين تقريبا، وها قد مضى علينا حوالي شهرين لم نذهب فيهما إليها.

– لو أنها طلبت منا زيارتها لذهبنا في الحال.

– نعم بطبيعة الحال.. نحن نعرف أنها تحب الممرضة "**أوبريان**" وأنها ترعاها جيدا.. ومع ذلك.. فربما كنا مقصرين بعض الشيء.. وكلامي هذا ليس الدافع إليه الوجهة المالية بل الوجهة الإنسانية. وأومأت "**اليانور**" برأسها إيجابا:

– أعلم ذلك.

– وعلى ذلك فإن الخطاب القذر قد نتج عنه شيء طيب.. إذ علينا أن نذهب إلى العمة "**لورا**"؛ لنحافظ على مصالحنا؛ ولأننا مشغوفون بتلك المرأة العجوز الحبيبة.

وأشعل "**رودي**" عود ثقاب وقربه من الخطاب الذي تناوله من يد "**اليانور**".. ثم تمتم:

– ترى من الذي كتبه؟ يظهر أنه شخص يعمل لمصلحتنا.. وربما يكون بعمله هذا قد قام بعمل طيب لنا.. ومن يدري فقد توصي العمة "**لورا**" بأموالها للطبيب الجديد الذي يقوم بعلاجها.

– حقًّا. إن العمة "**لورا**" تحب الدكتور "**بيتر لورد**" الذي يعالجها الآن، ولكن ليس إلى هذا الحد.. ومع كل ذلك فإن الخطاب الكريه قد جاء فيه ذكر فتاة..

ولابد أنها "**ماري**". فقال "**رودي**":

– سنذهب لنرى بأنفسنا.

◆◆◆◆◆

خرجت الممرضة "**أوبريان**" من غرفة السيدة "**ويلمان**".. وقالت للممرضة "**هوبكنز**":

– سأضع إناء الشاي فوق النار؛ لأنني أظن أنك محتاجة إلى قدح من الشاي.. فأجابت الممرضة "**هوبكنز**":

– حسنًا يا عزيزتي.. إنني دائمًا لا أمانع في قدح من الشاي الثقيل. وقالت الممرضة "**أوبريان**" بعد أن ملأت الإناء بالماء وأشعلت الموقد تحته:

– إن لديّ في هذا الدولاب كل شيء.. إناء الشاي والأقداح والسكر، كما أن "**إرنا**" تجلب إليَّ حليبا (لبنًا) طازجا مرتين في اليوم، وبذلك ليس هناك ما يدعو إلى قرع الأجراس.

وكانت الممرضة "**أوبريان**" طويلة القامة تناهز الثلاثين من عمرها، ذات شعر أحمر، وأسنان ناصعة البياض وابتسامة ساحرة، وقد أحبها مرضاها لروحها المرحة ونشاطها. أما الممرضة "**هوبكنز**" فقد كانت الممرضة الرسمية للحي، وكانت تحضر صباح كل يوم لتقديم مساعدتها في ترتيب الفراش، واستحمام السيدة العجوز البدينة، وكانت في أواسط العمر، وتمتاز بمظهرها الدال على الكفاءة والحزم. وقالت الممرضة "**هوبكنز**" في رضاء:

– كل شي يتم على ما يرام في هذا المنزل. وأومأت الممرضة الأخرى برأسها إيجابا:

– نعم.. إن بعض الأشياء قديم.. فلا توجد تدفئة مركزية، ولكن هناك مواقد كثيرة والخدم يتسمون بالطاعة، كما أن السيدة "**بيشوب**" تشرف عليهم

جيدا. فقالت الممرضة "**هوبكنز**" :

– إنني لا أطيق فتيات هذه الأيام، فمعظمهن لا يعرفن ماذا يردن، ولا يمكنهن أداء عملهن بصورة مرضية. وعقبت الممرضة "**أوبريان**" قائلة :

– إن "**ماري جيرارد**" فتاة لطيفة.. ولا أعرف حقًّا ماذا تعمل السيدة "**ويلمان**" بدونها.. هل لاحظت كيف سألت عنها الآن؟

– أنا آسفة لـ"**ماري**" ، فإن والدها العجوز يبذل قصارى جهده في إيلامها.

– ليست عنده كلمة طيبة واحدة يقولها لها.. ها هو ذا الماء قد بدأ يغلي وسأبدأ بوضع الشاي. وبعد قليل كان الشاي قد أعد وصب في الأقداح ساخنا قويا وجلست الممرضتان ترشفانه في حجرة الممرضة "**أوبريان**" المجاورة لغرفة نوم "**ويلمان**".. وقالت "**أوبريان**" :

– سيحضر السيد "**ويلمان**" والآنسة "**كارليسل**" إذ وصلت منهما برقية بهذا المعنى صباح اليوم.

فقالت الممرضة "**هوبكنز**" :

– آه! إذن هذا هو السبب الذي كانت من أجله السيدة العجوز في حالة شوق وترقب.. ألم يمر وقت طويل منذ آخر مرة حضرا فيها إلى هنا؟

– شهران أو أكثر.. إن السيد "**ويلمان**" شاب ظريف. وقالت الممرضة "**هوبكنز**" :

– أما أنا فقد رأيت صورة الفتاة منذ أيام في إحدى المجلات. وعقبت الممرضة "**أوبريان**" قائلة :

– إنها فتاة معروفة جيدا في المجتمع، وترتدي دائما ملابس أنيقة.. أتظنين أنها حقًّا جميلة؟ فردت الممرضة "**هوبكنز**" :

– من الصعب أن تعرفي حقيقة شكل الفتيات تحت وسائل التجميل الحديثة.. وفي رأيي أن الفتاة ليست لها ملاحة "**ماري جيرارد**". وضمت

الممرضة "**أوبريان**" شفتيها ومالت برأسها ثم قالت:

– ربما تكونين على حق، إن "**ماري**" أجمل، ولكن تنقصها الأناقة.

– إن الريش الجميل يجعل الطيور جميلة. ومرة أخرى ملئت أقداح الشاي، ثم اقتربت الممرضتان إحداهما من الأخرى.. وقالت الممرضة "**أوبريان**" في همس:

– حدث ليلة أمس شيء غريب؛ فقد ذهبت في الثانية صباحا كالمعتاد للاطمئنان على العجوز فوجدتها مستيقظة، ولكن لابد أنها كانت تحلم قبل ذلك؛ لأنني لحظة أن دخلت غرفتها سمعتها تقول: «الصورة، لابد أن أحصل على الصورة». فقلت:

– طبعا يا سيدة "**ويلمان**".. ولكن أليس من الأفضل أن تنتظري حتى الصباح؟ وهنا قالت:

– نعم.. إنني أود أن أراها الآن.. فقلت:

– حسناً. وأين تلك الصورة؟ أتعنين صورة السيد "**رودريك**"؟ فقالت:

– "**رودريك**"؟ كلا. صورة "**لويس**".

ثم بدأت تتحرك، فذهبت إليها لأجلسها، ثم أخرجت مفاتيحها من الصندوق الذي بجوار فراشها، وطلبت إليَّ أن أفتح الدرج الثاني من الدولاب، حيث وجدت صورة كبيرة في إطار فضي، وكانت لرجل جذاب كتب على جانبها اسم "**لويس**".. كانت صورة قديمة العهد بطبيعة الحال، فأخذتها إليها حيث أمسكت بها ومضت تحدق إليها وقتا طويلا وهي تتمتم:

– "**لويس**".. "**لويس**"..

ثم تنهدت وأعطتني الصورة وطلبت إليَّ وضعها في مكانها، وعندما استدرت كانت العجوز الطيبة قد عادت إلى نومها وكأنها طفل صغير.

– أتظنين أنه كان زوجها؟

– لا؛ لأنني سألت السيدة "**بيشوب**" صباح اليوم بطريقة لا تثير الانتباه عن اسم "**ويلمان**" فقالت لي: إنه كان يدعى "**هنري**". وتبادلت الممرضتان النظرات، ثم قالت الممرضة "**هوبكنز**":

– "**لويس**". "**لويس**".. عجبا! إنني لا أذكر أنني سمعت هذا الاسم في هذه الأنحاء.

– لا تنسي أن ذلك كان منذ أعوام عديدة.

– نعم.. وبطبيعة الحال فإنني لم أحضر إلى هذه المنطقة إلا منذ عامين فقط.. و.. فقاطعتها الممرضة "**أوبريان**":

– إنه شخص جذاب أنيق.. ومظهره في الصورة يدل على أنه ربما كان ضابطا في سلاح الفرسان. ورشفت الممرضة "**هوبكنز**" من الشاي ثم قالت:

– هذا أمر مثير جداً. فقالت الممرضة "**أوبريان**" في لهجة حالمة:

– ربما كانا فتى وفتاة بينهما والد قاسٍ. فتمتمت الممرضة "**هوبكنز**":

– وربما قتل خلال الحرب.

◆◆◆◆◆

وعندما غادرت الممرضة "**هوبكنز**" المنزل أسرعت "**ماري جيرارد**" وراءها وقالت لها:

– هل يمكنني أن أسير معك حتى القرية؟

– طبعا يا عزيزتي "**ماري**". فقالت "**ماري**" وهي تلتقط أنفاسها:

– يجب أن أتحدث إليك.. إنني مشغولة جداً وقلقة. فنظرت إليها المرأة الأخرى في حنان. وكانت "**ماري**" في الحادية والعشرين من عمرها، جميلة كالوردة المتفتحة، ذات عنق رقيق طويل، وشعر ذهبي باهت متموج بطبيعته، ولها عينان زرقاوان داكنتان.

– ما الأمر؟

– الموضوع أن الوقت يمر ويمر وأنا لا أفعل شيئًا.

– أمامك وقت طويل لذلك.

– كلا.. ولكن هذا يقلقني.. لقد كانت السيدة "**ويلمان**" كريمة معي.. فقد هيأت لي الذهاب إلى المدارس الراقية، وأنا أشعر الآن أنه يجدر بي أن أبدأ بكسب عيشي.. يجدر بي أن أبدأ بالتدرب على شيء ما. ولقد حاولت أن أشرح مشاعري للسيدة "**ويلمان**" ولكني وجدت ذلك أمرا صعبا؛ إذ يبدو أنها لا تفهم مشاعري فهي تردد أن هناك فسحة من الوقت لذلك. فقالت الممرضة:

– تذكري أنها امرأة مريضة. واحمرت وجنتا "**ماري**" وقالت:

– أعرف ذلك.. وأظن أنه يجدر بي ألا أسبب لها ضيقا.. ولكن هذا أمر يقلقني وأبي يسخر مني، لذلك يقول: إنني أعيش عاطلة كالأثرياء، والحقيقة أني أحب أن أقوم بعمل ما.

– أعرف ذلك.

– والمشكلة هي أن التدريب يتكلف كثيرا.. وأنا أعرف اللغة الألمانية الآن جيدا، ويمكنني الإفادة من ذلك، ولكنني في الحقيقة أظن أنني أود لو كنت ممرضة في مستشفى ما؛ إذ أنني أحب مهنة التمريض.

– وما رأيك في التدليك؟ إنه يدر على العاملين فيه نقودا كثيرة..

– ولكن التدريب عليه يكلف كثيراً.. أليس كذلك؟ لقد كنت آمل.. ولكن هذا يعتبر جشعا مني بعد أن فعلت الكثير من أجلي..

– أتعنين السيدة "**ويلمان**" ؟ هراء. في رأيي أنها مدينة لك بذلك، فقد أعطتك ثقافة عالية، ولكنها ليست الثقافة التي تفيد صاحبها كثيرا.. ألا ترغبين في التدريس؟

– لست بارعة إلى هذا الحد.

– إذن إليك نصيحتي.. كوني صابرة في الوقت الحاضر يا "**ماري**".. وفي رأيي – كما قلت لك – أن السيدة "**ويلمان**" مدينة لك، وأن عليها أن تساعدك على البدء باكتساب رزقك. وأنا لا أشك في أنها ستفعل ذلك، فهي مشغوفة بك ولا تريد أن تفقدك.

– أوه! أتظنين حقًّا أن الأمر كذلك؟

– لا يخالجني في ذلك أقل شك.. فها هي ذي امرأة عجوز عاجزة مشلولة جزئيا، ولا يوجد شيء أو شخص ما يسرها. فمن الطبيعي أن وجود فتاة جميلة يانعة معها في المنزل يعني بالنسبة إليها الشيء الكثير، خصوصاً وأنك تتميزين بطريقة جميلة في معاملة المرضى. فقالت "**ماري**" في رقة:

– الحق أنني مشغوفة جدًّا بالعزيزة السيدة "**ويلمان**".. فلقد كانت طيبة معي، وأنا على استعداد لعمل أي شيء في سبيلها.

– إذا كان الأمر كذلك فأفضل شيء يمكنك عمله هو البقاء حيث أنت، ودعي القلق فلن يستمر الأمر طويلا.

– ماذا تعنين؟

– إنها الآن في صحة جيدة ولكن لن يستمر ذلك طويلا.. ستصاب بنوبة ثانية ثم نوبة ثالثة.. وإنني أعرف ذلك جيدا.. فكوني صابرة يا عزيزتي؛ إذ أنك لو ملأت الأيام الأخيرة سعادة للسيدة العجوز فسيكون ذلك أمرا أفضل من غيره.. أما ما عدا ذلك فله وقته فيما بعد.

– أنت طيبة جدًّا. فردت عليها الممرضة "**هوبكنز**" قائلة:

– إنني أرى والدك خارجًا من المنزل.

كانتا وقتئذ قد اقتربتا من البوابة الحديدية الضخمة للمنزل. وكان هناك رجل كبير السن، محني الظهر قادم نحوهما.. فقالت له الممرضة "**هوبكنز**" في انشراح:

– طاب صباحك يا سيد "**جيرارد**". فكان رد "**أفرايم جيرارد**" في جفاء:

– آه!

– جو جميل.

– ربما كان ذلك بالنسبة إليك.. ولكنه ليس كذلك بالنسبة إليّ.. فإن "**اللمباجو**" يؤلمني.

– ذلك على ما أظن نتيجة الجو الرطب الذي انتشر في الأسبوع الماضي.. أما هذا الجو الجاف الموجود الآن فسيزيل في القريب آلامك.. ويظهر أن لهجتها المتسمة بالخبرة قد ضايقت الرجل العجوز؛ لأنه أجابها قائلاً:

– ممرضات.. ممرضات.. كلكن سواء.. تمتلئن انشراحا لمتاعب غيركن. ثم تأتي "**ماري**" وتقول: إنها هي الأخرى تريد أن تصير ممرضة. فردت عليه "**ماري**" بحدة:

– نعم.. أريد أن أكون ممرضة في مستشفى.

– نعم.. والأفضل ألا تعملي أي شيء على الإطلاق. أليس كذلك؟ يكفيك أن تسيري وكأنك سيدة عالية المقام وألا تفعلي شيئا.. الكسل هو الشيء الذي تحبينه يا بنتي. فقالت "**ماري**" محتجة والدموع في مآقيها:

– هذا ليس صحيحا يا أبي. وليس من حقك أن تقول لي ذلك. وهنا تدخلت الممرضة "**هوبكنز**" بلهجة تحاول أن تبعث بها المرح:

– من الواضح أن الجو قد أثر فينا هذا الصباح. أليس كذلك؟ إنك لا تعني ما قلت حقًّا يا "**جيرارد**".. فـ"**ماري**" فتاة طيبة، وابنة كريمة. فنظر "**جيرارد**" إلى ابنته نظرة من يتمنى لها السوء وقال:

– إنني لا أعدها ابنتي. ثم استدار ومشى إلى داخل المنزل. وهنا قالت "**ماري**" والدموع في عينيها:

– إنه في الواقع لا يحبني حتى عندما كنت طفلة صغيرة؛ إذ كانت أمي دائما

تدافع عني. فردت عليها المرضة "**هوبكنز**" في حنان:

– كفى. كفى. لا تقلقي. وعلينا أن نجتاز هذه المحن الصغيرة. يا لله! عليّ أن أسرع حتى أتم جولتي الصباحية.

- 2 -

رقدت السيدة "**ويلمان**" في فراشها متكئة على وسائد رتبت في عناية واهتمام، وكانت أنفاسها متثاقلة، ولكنها لم تكن نائمة، بل ظلت تحملق إلى السقف بعينيها الغائرتين الزرقاوين، وهي امرأة مكتنزة الجسم، جميلة المحيا، يرتسم العزم والاعتداد في وجهها الذي لم تجعده يد الزمن والمرض. وأخيرا استقرت عيناها على "**ماري**" الجالسة بجوار النافذة ثم غمغمت باسمة حانية:

– أهذه أنت يا "**ماري**"؟ فاستدارت إليها الفتاة على الفور قائلة:

– أوه! هل استيقظت يا سيدة "**ويلمان**"؟ فأجابتها "**لورا ويلمان**":

– نعم.. منذ قليل.

– أوه! لو كنت أعرف لما...

– شكرا. شكرا. كنت فقط أفكر في أشياء كثيرة. إنني مغرمة بك يا عزيزتي وإنك تساوين عندي كثيرا.

– هذا فضل منك يا سيدة "**ويلمان**".. ولا أدري ماذا كنت أصنع الآن لولا عطفك وحنانك ورعايتك. لقد فعلت من أجلي كل شيء. فقالت العجوز في قلق، ويمناها إلى جانبها فاقدة الحراك:

– لا أدري لا أدري. إن الإنسان يود أن يعمل أفضل الأمور، ولكن من الصعب أن يعرف خيرها وأصوبها.

– أنا واثقة بأنك آثرتني بأفضل الأمور وأصوبها. فهزت المريضة رأسها وقالت:

– كلا. كلا. إنه يتمشى في دمي شيطان الكبرياء الذي انحدر إليٍّ عن طريق

أسرتي كما انحدر إلى ابنة أخي "**اليانور**" أيضًا.

– سوف تدخل الآنسة "**اليانور**" والسيد "**رودريك**" على نفسك السرور بمجيئهما.

– كم أحب هذين الطفلين ؟ أنا واثقة بأنهما يجيئان بمجرد أن أدعوهما، ولكني لا أحب أن أطلبهما كثيرا؛ لأنهما صغيران سعيدان ولا حاجة تدعو إلى إدخال الأسى على قلبيهما قبل الأوان.

– أنا واثقة بأن رؤيتهما لك ستسرهما كل السرور. واستطردت السيدة "**ويلمان**" تقول كأنما تحدث نفسها أكثر مما تحدث الفتاة:

– لقد كنت أرجو دائما أن يربطهما الزواج دون أن أحاول اقتراح ذلك؛ لأن الشباب عنيد بطبعه، ولقد تبينت منذ كانا طفلين أن "**اليانور**" تحبه كثيرا، ولكنني لم أكن واثقة من ناحيته؛ لأنه مخلوق متحفظ في كل شيء منذ صغره، وكذلك كان زوجي "**هنري**" من زمن بعيد، ولكن الموت عاجله ولما تمض على زواجنا خمس سنوات؛ مات بالتهاب رئوي مضاعف فشعرت بالوحدة وأنا في السادسة والعشرين من عمري، وأنا الآن قد تجاوزت الستين، ويقعدني الشلل ويجعلني كالطفلة بلا حول ولا طول.. ولولاك – يا بنتي – لجننت من هذا العجز.

– أنا سعيدة بأن أدخل بعض السرور على نفسك يا سيدة "**ويلمان**".

– أما مستقبلك فدعيه لي يا بنتي، وسأتكفل بأن أهيئ لك أسباب الاستقلال والعمل الذي يلائمك، ولكن عليك أن تصبري قليلا وتعتقدي أن بقاءك هنا يعني عندي الكثير.

– إنني أؤثر البقاء معك على الدنيا بأسرها.

– أنت في منزلة ابنتي تماما يا "**ماري**". وقد رأيتك تترعرعين هنا في "**هنتربري**" إلى أن غدوت فتاة جميلة أفخر بها، وأرجو أن أكون قد بذلت

قصارى ما أستطيع من أجلك.

– إذا كان والدي لا يروقه ما بلغته من التعليم فإنني مدينة لك بهذا الفضل الكبير، وإذا كنت أتلهف على كسب قوتي فذلك فقط لأنني أشعر بأن من واجبي أن أسعى لإعالة نفسي، ولأنني لا أطمع في أكثر مما قدمته إليّ.

– لا تبالي بما يقوله والدك. أنا التي تلح عليك وترجوك أن تبقي هنا إلى أن ينتهي قريبا كل شيء.

– كلا، يا سيدة "**ويلمان**"! إن الدكتور "**لورد**" يقول إنك قد تعيشين سنين طويلة.

– هذا لا يهمني.. بل لقد طلبت إلى الدكتور لو يستطيع أن ينقلني إلى العالم الآخر بلا ألم.. ولكنه لم يؤت الشجاعة الكافية، وقال إنه لن يخاطر بالتعرض للمشنقة ولو أعطيته كل ثروتي.

– شكرا له.. ما هذا أهي السيارة؟ ثم أسرعت تطل من النافذة، وعادت تقول:

– نعم السيارة التي تقل الآنسة "**اليانور**" والسيد "**رودريك**".

◆◆◆◆◆

واستقبلت العجوز ابنة أخيها بابتسامة مشرقة، وهي تقول:

– يسرني أن أراك يا "**اليانور**" ومعك "**رودي**".. أتحبينه يا بنتي؟

– طبعا.

– سامحيني يا عزيزتي فأنت – كما عرفتك – شديدة التحفظ، ويصعب أن يعرف الإنسان فيم تفكرين، وماذا تحسين. لقد شاهدتكما وأنتما طفلان صغيران ينمو الحب في قلبيكما، وظللت تهتمين به إلى أن رأيتك تعودين من "**ألمانيا**"، وكأنما اعترى عاطفتك نحوه بعض التغيير، والواقع أني أسفت لذلك

كثيرا، وخشيت أن تكون هذه الظاهرة باكورة الاعتزاز الشديد بالنفس الذي يسري في دماء أسرتنا. أما الآن وقد أقررت بأنك تحبينه. فأنا أشعر بالسعادة تملأ جوانحي.

– الواقع أنني أحبه يا عمتي، ولكن ليس إلى الحد الذي تتصورينه.

– كيف؟ أحدث شيء ينغص سعادتك؟

– كلا ولكنني أدين بالرأي القائل: « دعي صديقك يخمن، وحذار أن تجعليه واثقا بأنك تحبينه ».

– يخيل إليّ أنك لست سعيدة يا طفلتي، فماذا جرى؟

– لا شيء على الإطلاق. ثم مضت إلى النافذة واستدارت قائلة:

– أخبريني صراحة يا عمتي: أترين أن الحب يجلب السعادة؟

– بالمعنى الذي تقصدينه ربما كلا؛ لأن شدة التعلق بإنسان تورث الهم أكثر مما تجلب السعادة. ولكن الحب في الوقت نفسه غذاء ضروري للروح، وما عاش من لم يعرف طعم الحب. وقبل أن تجيب الفتاة فتح الباب وقدمت الممرضة "**أوبريان**" تقول:

– لقد جاء الدكتور لعيادتك يا سيدة "**ويلمان**".

ودخل الطبيب بوجهه الذي تشوبه الدمامة، وقد تألقت عيناه الزرقاوان ببريق الذكاء.. وكان لا يعدو الثلاثين من عمره فقال:

– طاب صباحك يا سيدة "**ويلمان**".

– طاب صباحك يا دكتور "**لورد**".. هذه ابنة أخي الآنسة "**اليانور كارليسل**". فوثب الإعجاب إلى وجه الطبيب الشاب ثم قال وهو يمد لها يده:

– كيف حالك؟ ثم ضغط يد الفتاة في كفه كما لو كان يود تحطيمها واستطردت العمة تقول:

– لقد جاءت "**اليانور**" لترفه عني في وحدتي. فقال:

– حسنا فعلت، هذا هو ما تحتاجين إليه، أنا واثق بأن هذا سيعود عليك بتحسن كبير. وكان لا يزال يرنو إلى الفتاة وبريق الإعجاب يتألق في عينيه الثاقبتين، وقالت "**اليانور**" وهي تتحرك نحو الباب:

– قد أراك يا دكتور قبل أن تنصرف. فتمتم:

– طبعا. كما تشائين. وقالت السيدة "**ويلمان**":

– أظن أننا يجب أن نبدأ الروتين العادي: نبض وتنفس ودرجة الحرارة والضغط، يا لكم من أفاقين يا معشر الأطباء! فضحك الطبيب عاليا، ثم ألقى عليها الأسئلة التي اعتادتها منه في كل مرة وقال:

– أنت تتحسنين باطراد يا سيدتي.

– أسيكون في وسعي السير في اتجاه المنزل في مدى أسابيع؟

– ليس بهذه السرعة.

– إذن ما فائدة الحياة – أيها الأفاق – إذا قضتها امرأة مثلي في فراشها ليُعنى بها الآخرون كالطفلة الصغيرة؟

– فائدة الحياة أن الإنسان يعيش؛ لأن به غريزة حب الحياة فحسب. أما أولئك الذين حصلوا على كل شيء يعيشون من أجله فإنهم يتركون نفوسهم تذوي وتفنى؛ لأنه لم يعد لديهم الرغبة في الكفاح والنضال.

– استمر في فلسفتك.

– أنت إحدى من يردن الحياة مهما قلت، وإذا كان جسمك يرغب في الحياة فلا يجب أن يتجه العقل اتجاها آخر. ثم نهض قائلاً:

– آن لي أن أذهب من هنا.

– ابنة أخي تريد أن تتحدث إليك كما قالت، وبهذه المناسبة ما رأيك فيها؟ فتضرجت وجنتاه فجأة وقال:

– أنا.. أوه..! إنها غاية في الجمال وتبدو عليها مخايل الذكاء.

وكان "**رودي**" يتجول في الحديقة إلى أن بلغ حقل الخضر، وراح يتساءل، هل يقدر له أن يعيش و"**اليانور**" في هذا الريف الجميل يوما ما؟ وكان يخشى أن تؤثر خطيبته الإقامة في "**لندن**"، وما لبث أن تمتم قائلاً:

– إنها كاملة في كل شيء، ولا ينقصها شيء، إنها تسر العين بجمالها الفاتن، وتطرب الأذن بحديثها الطلي الذكي، ومن حسن حظي أن ظفرت بها.

وذلك أن "**رودريك**" لم يكن في الواقع ممن يغترون بأنفسهم، فما لبث أن غمغم بين شفتيه: لا أدري ماذا أعجبها فيّ حتى تحبني كل هذا الحب؟ ولم يشأ أن يطالبها بالزواج في الحال، بل ترك لها أن تختار الموعد الذي يروقها ما دام واثقا بأنها متيمة به، تكاد تعشقه على الرغم مما يغلب عليها أحيانا من التحفظ وعدم الإسراف في إظهار وجدها بدافع من تعاليها الموروث. ومضى إلى الحديقة المسورة خلال بوابة في النهاية البعيدة، ثم راح يتجول في الغابة الصغيرة الزاخرة بزهور الربيع. وتقدمت نحوه من بين الأشجار فتاة ما إن شاهد شعرها الأشقر، ووجهها الصبيح حتى هتف لنفسه قائلاً:

– حقًّا ما أجملها وأروعها! وشعر بشيء يمسك به وكأنما تخدرت أوصاله، وراح يحملق إلى الفتاة وكأنه عابد في محراب، ووقفت الفتاة فجأة ثم اتجهت نحوه وهو ما زال فاغرا فمه وسألته في تردد:

– ألا تذكرني يا سيد "**رودريك**"؟ لقد انقضى وقت طويل بلا شك، أنا "**ماري جيرارد**" التي تقيم في الكوخ.

– أوه! أوه أأنت "**ماري جيرارد**"؟!

– نعم. وتولاها الحياء فقالت:

– لقد تغيرت كثيرا منذ رأيتني، ولذلك لم تعرفني. فقال:

– نعم تغيرت كثيرا.

ووقف يحملق إليها حتى أنه لم يسمع خلفه وقع أقدام "**اليانور**" وهي تقترب

منه، والتفتت "**ماري**" إلى "**اليانور**" التي ما لبثت أن هتفت:

– مرحبًا. "**ماري**"! فابتسمت هذه وقالت:

– كيف حالك يا آنسة "**اليانور**"، إنني مسرورة برؤيتك، لقد كانت السيدة "**ويلمان**" تتلهف على مجيئك.

– شكرا. لقد أرسلتني الممرضة "**أوبريان**" لأبحث عنك؛ لأنها تريد أن ترفع السيدة "**ويلمان**" وتقول: إنك أنت التي اعتدت القيام بذلك.

– سأذهب في الحال. وأسرعت تجري بينما "**اليانور**" ترمقها وتتأمل قامتها الرشيقة، وتمتم خطيبها:

– هل غدت رائعة الجمال؟ فلم تجب "**اليانور**" بل ظلت صامتة لبضع لحظات، وأخيرا قالت ذاهلة:

– حان وقت الغداء، يحسن بنا أن نعود. وسارا جنبا إلى جنب في طريقهما إلى المنزل دون أن يتبادلا كلمة واحدة.

◆◆◆◆◆

– تعالي يا "**ماري**"، إنه فيلم عظيم يدور كله حول "**باريس**".

– أشكرك كثيرا يا "**تيد**" ولكني لا أستطيع. فاحتقن وجه "**تيد بيجلاند**" بالغضب وصاح:

– لم أعد أقوى على حملك في هذه الأيام على الخروج معي، لقد تغيرت كثيرا جداً.

– كلا، لم أتغير قط يا "**تيد**".

– كل ذلك لأنك دخلت مدرسة عالية بـ"**ألمانيا**" ولم تعودي تحفلين بنا!!

– هذا غير صحيح.. أنا لست من هذا الطراز يا "**تيد**". وتطلع إليها الشاب في إعجاب على الرغم من غضبه ثم قال:

– نعم.. لقد غدوت (سيدة) بكل معنى الكلمة. إنك تشبهين (الأميرة) أو (دوقة). وظهرت لهما إذ ذاك السيدة "**بيشوب**" بقامتها المديدة وثوبها الأسود الجميل وحدجتهما بنظرة حادة فتحرك الشاب خطوتين جانبا وقال:

– طاب يومك يا سيدة "**بيشوب**". فمالت برأسها الجميل وقالت:

– مساء الخير يا "**تيد**".. مساء الخير يا "**ماري**". ثم مرت أشبه بالمركب الشراعي فتأملها "**تيد**" في احترام وتمتمت "**ماري**":

– إنها للأسف لا تحبني وتتعمد أن تخاطبني بلهجة جارحة.

– إنها تغار منك.. هذا كل ما هنالك.

– ربما كان هذا هو السبب.

– بل لا سبب غير ذلك؛ لأنها قضت سنوات طويلة تأمر وتهيمن على "**هنتربري**"، ثم ها هي ذي تراك قد احتللت المكانة الكبرى عند العجوز السيدة "**ويلمان**".

– لا ذنب لي في ذلك، وكل ما أتمناه أن يحبني كل إنسان.. لقد تأخرت يا "**تيد**" ويجب أن أذهب.

– إلى أين؟

– سأتناول الشاي مع الممرضة "**هوبكنز**". فقال متجهم الأسارير متقززا:

– مع ذات الأنف الطويل، واللسان الثرثار؟!

– إلى اللقاء يا "**تيد**".

◆◆◆◆◆

وكانت الممرضة "**هوبكنز**" تقيم في كوخ صغير في نهاية القرية، وكانت إذ ذاك تخلع قبعتها؛ لأنها كانت في الخارج وعادت لتوها فلما شاهدت "**ماري**" قالت:

– لقد ساءت حال العجوز السيدة "**كالديكوت**" مرة أخرى، وأنا قادمة على الفور من عندها. لقد شاهدتك مع "**تيد بيجلاند**" في نهاية الطريق. هل كان يسر إليك شيئا خاصا؟

– كلا. لقد طلب إليّ أن أرافقه إلى السينما.

– إنه شاب لطيف وعمله بالجراج لا بأس به، كما أن أباه من أنشط الفلاحين هنا.. ولكنك في الحقيقة بتعليمك وثقافتك لا تستطيعين أن تكوني زوجة له، لو كنت في مكانك لتدربت على التدليك عندما يحين الأوان.

– لقد صارحت السيدة "**ويلمان**" بذلك أخيرا فلم تشأ أن أبتعد عنها، وطلبت إليّ ألا أهتم بالمستقبل؛ لأنها ستعينني عليه. وكأنما أرادت "**ماري**" أن تغير مجرى الحديث فقالت:

– أتعتقدين أن السيدة "**بيشوب**" تكرهني أم أن هذا وهم مني؟

– يخيل إليّ أنها تكره الشباب ولا ترضى أن ينعم أحد دونها بربيع العمر ومرحه ونشاطه، ولعلها تنفس عليك ما تراه من أن السيدة "**ويلمان**" مغرمة بك كثيرا. ثم ضحكت وقالت:

– لو كنت في مكانك ما اهتممت بشيء، افتحي هذه الورقة يا عزيزتي والتهمي كعكتين مما فيها.

- 3 -

« أصيبت عمتك بنوبة ثانية في الليلة الماضية.. لا داعي للقلق العاجل، ولكني أقترح أن تحضري إذا أمكن ».

الإمضاء: « دكتور "**لورد**" ».

وما إن تلقت "**اليانور**" هذه البرقية حتى بادرت تتحدث تليفونيا إلى "**رودي**"، ثم استقلا أول قطار إلى "**هنتربري**"، وكانت لم تر خطيبها في الأسبوع الذي انقضى منذ عودتهما من "**هنتربري**" إلا مرة واحدة، كان لقاؤهما في أثنائها قصيرا، كما أنه – على غير عادته – أرسل لها باقة من الورد، وراح في الطريق يتودد لها، وكأنما يمثل دور الخطيب الموله، بينما كان حديثها معه أكثر اعتدادا وتشامخا. قال في نبرات تفيض بالأسى:

– مسكينة عزيزتنا العجوز! لقد كانت بخير عندما غادرناها. فأجابته "**اليانور**":

– إنها تكره المرض، ويخيل إليَّ أن كثيرا من المرضى أولى بأن ينقذوا من آلامهم، وأن ينعموا بالراحة التي ينشدونها.

– الواقع أن هذا خير ما يجب أن تعمله المدنية، وإذا كنا أحيانا نريح الحيوان من آلامه، فالإنسان أولى بذلك لولا أن إباحة هذه النظرية تمكن الأقارب من القضاء على مورثهم بحجة إراحته من آلامه المبرحة.

– يمكن أن يترك هذا الحكم للطبيب.

– قد يكون الطبيب وغدا.

– نعم، ليس جميع الأطباء في استقامة الدكتور "**لورد**".

◆◆◆◆◆

وكان الدكتور "**لورد**" منحنيا على فراش المريضة وخلفه الممرضة "**أوبريان**"، وكان يحاول أن يفهم معنى كل صوت ينبعث من بين شفتي العجوز ويقول:

– نعم.. على مهلك.. فقط ارفعي يدك اليمنى قليلا إذا أردت أن تقولي "نعم".. هل يشغلك شيء؟ فرفعت يدها اليمنى قليلا علامة الإيجاب. فعاد يسألها:

– أهو شيء عاجل تريدين أن تعمليه؟ أترسلين إلى أحد؟ إلى الآنسة "**اليانور**"؟ والسيد "**ويلمان**"؟ إنهما في طريقهما إلى هنا. وبعد أن ترك المريضة الواهنة تستريح لحظة عاد يسألها على طريقته:

– أنت لا تريدين مجيئهما؟ أتريدين شخصا آخر؟ أهو قريب؟ شخص تربطك به أعمال؟ عمل خاص بمسائل مالية؟ المحامي؟ أتريدين مقابلته؟ حسنًا جدًّا ماذا تقولين؟ "**اليانور**"؟ أتريدين أن تقولي: إنها تعرف المحامي وتستطيع أن تعد معه الأمور؟ حسنًا.. سوف تكون هنا قبل نصف الساعة.. سأخبرها بما تريدين. اتركي هذا لي. وتبعته الممرضة "**أوبريان**" إلى الخارج، وكانت الممرضة "**هوبكنز**" ترتقي الدرج فأومأ لها برأسه فقالت عندما بلغته:

– طاب مساؤك يا دكتور.

– طاب مساؤك.. تعالي معنا.

ثم دخل بهما إلى حجرة "**أوبريان**" التالية، حيث ألقى عليهما بعض التعليمات وأمر "**هوبكنز**" بأن تعمل طوال الليل، وأن تتناوب السهر مع زميلتها "**أوبريان**" ثم قال:

– أرجو أن أتمكن غدا من إحضار ممرضة مقيمة، فقد استنفدت "**الدفتريا**" اللعينة معظم الممرضات في "**ستامفورد**".

ثم هبط الدرج لاستقبال ابنة الأخ وخطيبها. وفي الردهة قابل "**ماري جيرارد**" بوجهها الشاحب، وأساريرها القلقة، فقال لها يهدئ خاطرها:

– ستنام الليلة نوما هادئا.

◆◆◆◆◆

صاحت "**اليانور**" عندما دخلت غرفة الاستقبال:

– هل حالتها في غاية السوء؟ وكان وجه "**رودي**" شديد الامتقاع فقال

الطبيب :

– يؤسفني أن أقول إنها أصيبت بشلل كامل، وإن لسانها لا يكاد يقوى على النطق.. وبهذه المناسبة إنها.. تتلهف على رؤية محاميها فهل تعرفينه يا آنسة "**اليانور**" ؟

– نعم.. إنه السيد "**سيدون**"، ولكنه لن يكون موجودا بمكتبه في مثل هذا الوقت من المساء، ولا أعرف عنوان منزله.

– إذن نرجئ ذلك لصباح الغد.. ومن صالحها ألا نزعجها الليلة بقدر الإمكان، تعاليّ يا آنسة فقد نتمكن من بعث الطمأنينة في نفسها.

– طبعا.. سأصعد معك في الحال. وسألها "**رودي**" في شيء من التخاذل:

– أتريدينني معك؟ وكانت تعرف أنه يكره أن يرى المريضة طريحة الفراش بلا حراك ولا قوة فأجابته:

– لا داعي لذلك.. ويحسن ألا تزدحم غرفة المريضة.

فتنفس الصعداء، وصعدت الفتاة مع الطبيب حيث وجدا الممرضة "**أوبريان**" مع العجوز، وكانت هذه تتنفس في صعوبة وعمق ولكن سرعان ما انبسطت أساريرها عندما فتحت عينيها وشاهدت "**اليانور**" ثم تمتمت باسمها في صعوبة فقالت الفتاة:

– أنا هنا يا عمتي. أتريدين أن أرسل في دعوة السيد "**سيدون**" ؟ ماذا تريدين؟ "**ماري جيرارد**" ؟ هل أدعوها؟ إذن ماذا؟ وجاهدت المريضة حتى نطقت بكلمة "ذخيرة" فقالت ابنة أخيها:

– ذخيرة؟ أتعنين أنك تريدين أن تتركي لها بعض المال في وصيتك؟ هذا سهل جداً فسوف يأتي السيد "**سيدون**" في الصباح وسنعد كل شيء يحقق رغبتك.

فبدا الارتياح على وجه المريضة وتبددت من نظراتها الضارعة أمارات الضيق

والخوف. وأمسكت "**اليانور**" بيدها فشعرت بأصابعها الهزيلة الناحلة تضغط راحتها بالشكر والارتياح، وعادت العجوز تغمض عينيها فوضع الطبيب يده على ذراع الفتاة وجذبها برفق إلى خارج الغرفة، واستعادت الممرضة "**أوبريان**" مقعدها بجوار الفراش.

وفي الخارج على درج السلم كانت "**ماري جيرارد**" تتحدث إلى الممرضة "**هوبكنز**" فما إن شاهدت الطبيب حتى سألته ضارعة:

– هل أستطيع أن أدخل إليها يا دكتور "**لورد**"؟ فأومأ برأسه، وقال:

– في هدوء.. بحيث لا تزعجينها.

فدلفت إلى حجرة المريضة، وعينا "**اليانور**" ترمقانها بحيث لم تسمع كلمات الطبيب الذي كان يتحدث إليها، وما لبثت أن أفاقت لنفسها وقالت:

– معذرة يا دكتور.. ماذا كنت تقول؟ وتولاه الارتباك فأجاب:

– ماذا كنت أقول؟ لا أتذكر.. الواقع أن مجيئك هو أحسن ما حدث اليوم.

– لقد آلمني أن أراها هكذا.

– يبدو أنك تعرفين كيف تمسكين زمام عواطفك؛ لأنه لم يظهر عليك مبلغ هذا التأثير الكبير.

– لقد تعلمت كيف أخفي مشاعري عند الحاجة. فقال الطبيب في تؤدة:

– سوف ينحسر هذا القناع يوما ما. ومرقت الممرضة "**هوبكنز**" إلى الحمام، ورفعت "**اليانور**" حاجبها الرقيق وتأملت وجهها قائلة:

– قناع؟!

– إن الوجه البشري قناع لا أكثر ولا أقل.

– وماذا تحته..؟

– الرجل أو المرأة البدائية.

فاستدارت بسرعة وتقدمته تهبط الدرج فتبعها وهي نهبة الحيرة والارتباك،

وخرج "**رودي**" إلى الردهة لاستقبالهما وقال في لهفة:

– كيف الحال؟ فقالت "**اليانور**":

– إن منظرها يبعث على الأسى. لا تدخل حتى تسأل عنك.

– ألم تطلب شيئا بصفة خاصة؟ وإذ ذاك قال الطبيب للفتاة:

– يجب أن أنصرف الآن فليس لديّ هنا ما أعمله، وسأعود مبكرا في صبيحة الغد. لا تستسلمي لليأس يا آنسة "**كارليسل**" إلى اللقاء. وأمسك بيدها بضع لحظات وهو يرنو إليها في إعجاب ممتزج بالرثاء لجزعها، وعندما أغلق الباب كرر "**رودي**" سؤاله فأجابته:

– إن العمة تتنازعها بعض الشواغل الخاصة فطمأنتها إلى أنني سوف أستدعي السيد "**سيدون**" ليكون هنا في صبيحة الغد.

– أتريد أن تجدد وصيتها؟

– لم تقل ذلك.

– إذن ماذا قالت..؟

توقف في منتصف السؤال لأنه رأى "**ماري جيرارد**" تجري هابطة درج السلم وتعبر الردهة ثم تختفي خلف الباب ناحية المطبخ، وسألته "**اليانور**" في صوت أجش:

– ماذا كنت تريد أن تسأل؟ فغمغم في كلمات مبهمة وهو بادي الاضطراب:

– أنا.. ماذا؟ لقد نسيت ما كنت أريد أن أقوله.

وكان لا يزال يحملق إلى الباب الذي دخلت منه "**ماري جيرارد**"، فقبضت "**اليانور**" على راحتيها في انفعال جعل أظافرها تنفذ في لحم كفيها، وقالت لنفسها: هذا لا يحتمل!! هذا ليس وهما أو خيالا ولكنه الحقيقة المرة "**رودي**"! "**رودي**"! لا يمكن أن أفقدك، أو أسمح لمخلوقة أن تنتزعك مني!» ثم قالت بصوت هادئ مسموع:

– وماذا عن تناول الطعام يا "**رودي**" ؟ أنا لست جائعة وسأجلس مع العمة حتى تتناول الممرضتان طعامهما.

– هل سأتناول معهما العشاء؟

– أتخشى أن تعضاك؟!

– ولماذا لا نتعشى معا ثم تدعينهما يهبطان بعد ذلك ؟

– كلا.. دعني أصرف الأمور وفق ما أرى.

- 4 -

وفي الصباح تولت السيدة "**بيشوب**" بنفسها إيقاظ "**اليانور**" من نومها وهي تبكي وتنتحب وتقول: لقد مضت يا آنسة.

– ماذا؟ ووثبت الفتاة مرتاعة في فراشها فعادت السيدة "**بيشوب**" تقول:

– لقد توفيت عمتك العزيزة أثناء نومها.. لقد عاشرتها عشرين عاما ولم أكن أتوقع مجيء مثل هذا اليوم.

– نعمة من الله أن تموت العمة أثناء نومها ميتة هادئة.

– ولكنها ماتت فجأة. فانتهرتها "**اليانور**" بحدة:

– لم تمت فجأة؛ لأنها كانت شديدة المرض، ومن رحمة الله أن وضع حدا لآلامها وعذابها.

– ومن سيتولى إنهاء الخبر إلى السيد "**رودريك**".

– سأقوم بهذه المهمة بنفسي. ثم قامت إلى بابه فطرقته ودخلت وهي تقول:

– لقد ماتت العمة يا "**رودي**"، ماتت أثناء نومها. فجلس في فراشه وتنهد تنهيدة عميقة وقال:

– مسكينة العمة العزيزة! ولكني أحمد الله؛ لأنني لم أحتمل رؤيتها بالأمس وهي تعاني سكرات الموت.

– لم أعرف أنك رأيتها بالأمس. فتولاه الخجل وقال:

– الحق يا "**اليانور**" أنني دخلت في المساء أغالب جبني، وكانت الممرضة البدينة قد غادرت الغرفة لأمر ما.. ومعها زجاجة الماء الساخن على ما أذكر. فتسللت وتطلعت إليها، ولما أحسست بالممرضة ترتقي الدرج مرة أخرى تسللت عائدا. لقد كان منظرها مؤلما يمزق القلب.

◆◆◆◆◆

قالت الممرضة "**أوبريان**" لزميلتها:

– ماذا؟ أتبحثين عن شيء فقدته؟ فأجابتها الممرضة "**هوبكنز**" وقد أربد وجهها وهي تبحث في حقيبتها التي كانت قد وضعتها في المساء السابق بالردهة:

– لا أتصور حدوث هذا؟ لقد كنت أضع أنبوبتي "**مورفين**" في الحقيبة، أعطيت منهما السيدة "**اليزاريكن**" واحدة قبل مجيئي في الليلة الماضية، وبقيت الأخرى في الحقيبة ولكنني لا أجدها.

– ابحثي عنها فهي صغيرة الحجم. فعادت الممرضة "**هوبكنز**" تقلب محتويات حقيبتها ثم قالت:

– كلا. ليست هنا، لابد أنني تركتها في دولابي وإن كنت أجزم كذلك بأنني أخذتها معي.

– ألم تتركي الحقيبة في مكان ما وأنت في طريقك إلى هنا؟

– نعم. أنا واثقة بأنني لم أضعها إلا في هذه الردهة، والذي يضايقني أنني سأضطر إلى الذهاب أولا إلى منزلي في نهاية القرية للتحقق من أمر الأنبوبة ثم أعود إلى هنا.

– في وقت أنت أحوج ما تكونين فيه إلى الراحة من إلتعب الذي عانيته في

الليلة الماضية.

قال "**رودريك ويلمان**" :

– أتعني أن العمة ماتت دون أن تترك وصية ما؟ فصقل السيد "**سيدون**" نظارته وقال :

– هذا هو الأرجح. هكذا يحسب الإنسان أن لديه فسحة من الوقت إلى أن يدهمه الموت.

– ألم تتحدث إليك من قبل في هذا الشأن؟

– بلى، كثيراً.

– وماذا قالت؟ فتنهد السيد "**سيدون**" وقال :

– الأشياء العادية، قالت : إن هناك كثيرا من الوقت، وكانت تكره أن أذكرها بالموت. فقالت "**اليانور**" في حيرة : .

– ولكنها كانت ترغب في أن تموت.

– إن العقل البشري يا آنسة "**اليانور**" آلة عجيبة، فقد تكون السيدة "**ويلمان**" فكرت أو رغبت في الموت، ولكن الأمل في أن تشفى وأن تستعيد صحتها كان يتمشى جنبا إلى جنب مع تلك الرغبة. وأغلب الظن أنها كانت تتشاءم من عمل وصية، ولذلك كانت ترجئ ذلك يوما بعد يوم.

– إذن فهذا سر انزعاجها الشديد بالأمس، وتلهفها على مقابلتك عندما شعرت بدنو الأجل.

– ولكنها لم تتمكن من ترك وصية خاصة، وبذلك سوف تؤول كل ثروتها إليك يا آنسة "**اليانور كارليسل**" .

– كلها لي.. أنا؟

– نعم عدا نسبة مئوية للدولة. ثم مضى يشرح لهما التفاصيل وانتهى قائلاً :

– أظن أن السيد "**رودريك**" ابن أخ زوج الراحلة؟ فأجابت الفتاة في بطء

دون أن تنظر إلى خطيبها:

– نعم، ولكن لا يهم أن أكون الوارثة الوحيدة؛ لأننا سوف نتزوج.

– هكذا! وبعد أن استأذن المحامي في الانصراف قال "**رودريك**":

– يجب أن تعرفي جيدا أنني لا أنفس عليك أن تكوني الوارثة الوحيدة، وأنني أمقت هذا المال.

– أذكر أنك قلت في "**لندن**" إنه لا يهم من منا يكون الوارث. أليس كذلك؟

– بلى. بلى. وتطلع إلى قدميه وهو ممتقع الأسارير وتمتم:

– لا يهم. لا يهم.

– ألسنا سنصبح زوجين؟ فقال في غير اكتراث:

– هو ذلك يا "**اليانور**"، ولكن أراني تبدلت فجأة ولا أدري ماذا حدث لي!

– أنا أعرف السبب.

– يبدو أنني لا أرتاح إلى أن أعيش على نقود زوجتي. ولكنها صاحت في حدة وقد غاض الدم من وجهها:

– ليس هذا هو السبب، إنه شيء آخر. "**ماري جيرارد**" أليس كذلك؟

– أظن ذلك.. كيف عرفت؟

– لم يكن الأمر صعبا؛ لأن وجهك كان ينطق بهذا كلما وقعت عليها عيناك.

– الواقع أنني لا أدري؟ يخيل إليّ الآن أنني جننت بها عندما رأيتها أول يوم في الغابة وأن رأسي دار وأنني..

– استمر.. استمر.

– لم أشأ أن أقع في حبها؛ لأنني كنت سعيدا معك.. اغفري لي يا "**اليانور**" أن أحدثك عنها هكذا.

– هراء! استمر. أخبرني بكل شيء.

– أنت رائعة ويريحني أن أفضي إليك بما يصطخب في جوانحي. أنا مغرم بك يا "**اليانور**".. صدقيني ولكن الأخرى أشبه بسحر طغى عليّ.. قلب كياني، وبدّل نظرتي إلى الحياة وتذوقي للأشياء. وكل ما هو رتيب معقول.

– ولكن أليس الحب معقولا؟

– كلا. كلا.

– أقلت لها شيئا؟

– الواقع أني فقدت عقلي هذا الصباح ولكنها..

– ماذا؟

– أسكتتني على الفور.. فقد فوجئت.. لأنها تعلم أنني وأنت.. فسحبت "**اليانور**" خاتما من الألماس من أصبعها وقالت:

– يحسن أن تسترد هذا يا "**رودي**". فأخذه وهو يغمغم كالمحموم:

– ليست لديك فكرة يا "**اليانور**" عن الخزي الذي أشعر به، إن وحشا مفترسا ينهش في مشاعري.

– وهل تظنها ستتزوجك؟ فهز رأسه وقال:

– لا أظنها تحفل بي الآن، ولكنها قد تفعل ذلك يوما.

– أظنك على حق، يجب أن تمنحها الوقت الكافي، ابتعد عنها قليلا، ثم ابدأ من جديد.

– أنت خير من صادقت يا "**اليانور**". ثم أمسك فجأة بيدها وراح يقبلها ويقول:

– إنك تعرفين تماما أنني أحبك، وأن "**ماري**" أشبه بحلم قد أستيقظ منه ولا أجدها.

– وإذا لم تجدها؟

– بودي لو يحدث هذا. إنني أنتمي إليك وأنت تنتمين إليّ، ونحن الاثنان خلقنا لنكون معا.

فقالت تحدث نفسها: «نعم، نعم لولا وجود "**ماري**".»

- 5 -

قالت الممرضة "**هوبكنز**" في حماسة:

– كانت جنازة رائعة! فأجابتها الممرضة "**أوبريان**":

– حقيقة، والزهور، أرأيت أجمل منها؟ وكانتا تحتسيان الشاي في مقهى "**بلوتيت**" فاستطردت "**هوبكنز**" قائلة:

– إن الآنسة "**اليانور**" فتاة كريمة فقد أعطتني هدية جميلة.

– لا شك في كرمها. ترى لو حررت الراحلة وصيتها هل كانت تترك كل ثروتها لابنة أخيها؟

– الذي أعرفه أنها كانت تريد أن تترك مبلغا من المال لـ"**ماري جيرارد**".

– هذا صحيح. ولعلنا كنا قد فوجئنا بأنها تركت كل شيء تملكه لـ"**ماري**" وحدها.

– لا أظنها كانت تحرم من هي من لحمها ودمها.

– هناك لحم ودم. ولحم ودم.

– ماذا تعنين يا "**أوبريان**"؟

– أنا لست ثرثارة، ولا أريد أن ألطخ اسم الميتة.

– أنا معك في هذا.

– على فكرة، هل وجدت أنبوبة "**المورفين**" عندما عدت إلى منزلك؟ فعبست "**هوبكنز**" وقالت:

– كلا، ويغيظني ألا أعرف أين ذهبت، وكل ما أعلل به ضياعها هو أنني

تركتها على حافة المدفأة كما أفعل أحيانا عندما أغلق الدولاب بالمفتاح، وربما تدحرجت وسقطت إلى سلة المهملات التي كانت مليئة، ثم أفرغت في السلة العامة في الطريق بمجرد مغادرتي المنزل، هذا هو التعليل الذي يتقبله عقلي.

– هذا محتمل جداً، ولو كنت مكانك لما اهتممت بالأمر.

– لست مهتمة في الواقع.

◆◆◆◆◆

وجلست "**اليانور**" في ثوبها الأسود الرشيق أمام منضدة في المكتبة، وقد انتشرت أمامها أوراق مختلفة وكانت قد فرغت من مقابلة الخدم والسيدة "**بيشوب**"، وجاء دور "**ماري جيرارد**"، فدخلت الفتاة مترددة وقالت:

– أطلبت رؤيتي يا آنسة "**اليانور**"؟ فتطلعت إليها لحظة ثم قالت:

– أوه! نعم يا "**ماري**"، تعالي اجلسي هنا. فجلست الفتاة في المقعد الذي أشارت إليه "**اليانور**"، وكان يواجه النافذة بحيث يسقط الضوء على وجهها ويكشف عن نقاء بشرتها، وصفرة شعرها الجميل.

وقالت "**اليانور**" تحدث نفسها: «أيمكن أن أكره هذه الإنسانة كل هذه الكراهية ولا تظهر على أساريري..؟!» ثم قالت بصوت مرتفع رقيق:

– أظنك تعرفين يا "**ماري**" أن عمتي كانت مغرمة بك مهتمة بمستقبلك.

فغمغمت "**ماري**" بصوت خافت:

– كانت السيدة "**ويلمان**" شديدة العطف عليّ دائما.

– ولو أتيح لها أن تترك وصية – كما رغبت – لتركت لك ما يكفل مستقبلك، ولولا أنني أرجأت دعوة المحامي إلى صبيحة اليوم التالي لنفذت عمتي رغبتها، ولذلك أحس بأنني مسؤولة عن حرمانك من جزء من ثروتها ولو يسير، مما جعلني أستشير السيد "**سيدون**" ونتفق على عمل ما يريح الراحلة في

قبرها، وقد بدأت بالخدم حسب طول خدمتهم في هذا المنزل، أما أنت فلست بطبيعة الحال من هذه الطبقة.

وتوقفت وهي تأمل أن تشعر الفتاة بوخز هذه الكلمات، فلما لم يبد أي تبديل على قسمات وجهها، بل راحت تصغي لما ستفضي به الوارثة بعد ذلك، ثم استطردت "**اليانور**" قائلة:

– وبمجرد أن تثبت الوراثة قانونا سأقوم بتوزيع جزء منها على المستحقين بحكم الواجب والاعتراف بالجميل، وسيكون نصيبك مبلغ ألفي جنيه تتصرفين فيه كيف تشائين. فتضرجت وجنتا "**ماري**" فرحًا وهتفت:

– ألفا جنيه! هذا كرم منك يا آنسة "**اليانور**"!

– يسرني أن تطمئني على مستقبلك، وإنني لأتساءل: هل في رأسك مشروعات خاصة؟

– نعم.. نعم.. سوف أتدرب على التدليك.. هذا ما تنصحني به الممرضة "**هوبكنز**".

– فكرة طيبة، وسأتفق مع السيد "**سيدون**" على أن تتناولي حصتك في أقرب فرصة ممكنة، بل في الحال لو أمكن.

– أنت طيبة جدًّا جدًّا، يا آنسة "**اليانور**".

– هذه رغبة العمة "**لورا**"، هذا كل شيء على ما أظن. وأحست "**ماري**" بأن الكلمات الأخيرة تعني طردها.

فنهضت على الفور في هدوء وقالت:

– أشكرك كثيرا جدًّا يا آنسة "**اليانور**". ثم غادرت الغرفة، بينما جلست "**اليانور**" ذاهلة غائصة في لجة من الأفكار دون أن تتحرك أو تطرف لها عين.

وأخيرا – بعد دقائق طويلة – خرجت تبحث عن "**رودي**"، ووجدته في غرفة الجلوس يطل من النافذة، واستدار عندما شعر بوقع أقدام خلفه، فبادرته

"**اليانور**" قائلة:

– لقد انتهيت من كل شيء. خمسمائة جنيه للسيدة "**بيشوب**"، ومائة للطاهية، وخمسون لكل من الخادمتين "**ميلي**" و"**أوليف**"، وخمسة عشر لكل من الآخرين. أما رئيس البستانيين "**ستيفنس**" فسيأخذ خمسة وعشرين جنيهًا، ويبقى الكهل "**جيرارد**" ساكن الكوخ لا أدري كم أعد له معاشا طوال حياته الباقية؟

وصمتت لحظة راحت تتفرس فيها وجه الشاب، ثم استرسلت تقول:

– سيكون نصيب "**ماري جيرارد**" ألفي جنيه، أتظن هذا ما كانت ترغب فيه عمتنا؟

فأجاب دون أن ينظر إليها:

– حسنًا جدًّا، إنك سديدة الحكم دائما يا "**اليانور**". ثم استدار ليطل مرة أخرى من النافذة، فأمسكت الفتاة أنفاسها قليلا ثم اندفعت تقول في سرعة وانفعال:

– هنالك ما أريد أن أحدثك عنه، سيكون لك نصيبك اللائق يا "**رودي**".

ولما التفت إليها ووجهه يعصف بالغضب مضت تقول على الفور:

– كلا، أصغ إليَّ يا "**رودي**"، إن العدالة تقضي بأن يكون لك نصيب في أموال عمك التي تركها لزوجته، وهذا ما كان في نية العمة أن تحدثني به مرارا، أما الآن وقد آلت إليَّ جميع أموالها، فلا أطيق الشعور بأني أسلبك ما هو حق لك لا لسبب سوى أن العمة "**لورا**" لم تتمكن من كتابة وصيتها. فامتقع وجهه وقال:

– يا إلهي! أتعتقدين أنني أترقب منحتك؟

– قلت لك: إنني فقط لا أريد أن أسلبك ما هو حقك، وما كانت عمتي تريد أن تتركه لك من الأموال التي ورثتها عن زوجها.. عمك.

– أنا آسف يا عزيزتي. الحق أنني لا أدري ماذا يجب أن أقول، وماذا يجب أن

أعمل.

– يا لك من مسكين يا "**رودي**"! واقتربت منه تخاطبه في رفق:

– أتعرف ماذا أعدت "**ماري جيرارد**" لمستقبلها؟ سوف تتدرب على التدليك.

– حسنا.

– أصغ إليّ جيدا يا "**رودي**" بودي لو تتبع نصيحتي. فاستدار يسألها:

– أية نصيحة تعنين؟

– خذ إجازة وارحل إلى الخارج لمدة ثلاثة أشهر مثلاً، وارحل بمفردك، واتخذ أصدقاء جددا، وشاهد أماكن جديدة. دعنا نتكلم بصراحة أكثر: إنك تعتقد في هذه اللحظة أنك تحب "**ماري جيرارد**"، وربما كنت كذلك، ولكن هذه اللحظة غير مناسبة للاقتراب منها، وإن كانت خطبتنا قد فصمت تماما. ولهذا يحسن أن ترحل إلى الخارج حرا طليقا. لتعود بعد ثلاثة أشهر حرا في أن تتخذ القرار الذي يروق لك. وسوف تعرف إذ ذاك إذا كنت حقيقة قد أحببت "**ماري جيرارد**" أم كانت عاطفتك نحوها مجرد إعجاب وقتي، ولهفة عابرة. حتى إذا تأكدت أنك تحبها أمكنك أن تذهب إليها، وأن تفضي إليها برغبتك، وربما أمكنها في ذلك الوقت أن تصغي إليك وإلى لهفتك عليها. فتقدم منها "**رودي**" وأمسك بيدها في راحته وقال:

– أنت رائعة يا "**اليانور**".. ذكية مدهشة! إني لأزداد إعجابا بمواهبك، وسأعمل ما تشيرين به عليّ.. سأرحل متحررا من كل قيد، وسوف أدرك هل ما بي حمى وافدة وحماقة طارئة أم لا، كم أنا مغرم بك يا "**اليانور**" و شاكر للكرم الذي تغمرينني به. ثم قبلها دون أن يعي ووثب إلى الخارج.

◆◆◆◆◆

وبعد يومين أفضت "**ماري جيرارد**" للممرضة "**هوبكنز**" بما وعدتها به

"**اليانور**" فهنأتها في حرارة وقالت :

– كثيرات غيرها يتناسين رغبات الموتى، ولكنك لحسن الحظ وجدت في استقامة خلق "**اليانور**" ما يكفل مستقبلك.

– ومع ذلك أشعر أنها لا تحبني.

– لا تتظاهري بالبراءة، إن السيد "**رودي**" مفتون بك، ومن حق خطيبته أن تحقد عليك، أتحبينه يا فتاة؟

– لا أدري! لا أظن ذلك. ولكنه لطيف.

– لا تتعجلي يا فتاة، من كانت في جمالك تستطيع – كما ألحت لي مرة الممرضة "**أوبريان**" – أن تعمل في السينما.

– وأبي؟ كيف يجب أن أتصرف معه؟ إنه يرى ضرورة إعطائه بعض المال الذي سأناله من "**اليانور**".

– لا تعملي شيئا من هذا القبيل. إن السيدة "**ويلمان**" لم ترد أن تعينه بالذات.. إنه أكسل رجل رأيته، ولولاك لفقد عمله منذ سنوات.

– من عجب ألا تترك وصية من كانت تملك كل هذه الثروة !

– هكذا الناس يا بنتي.. يرجئون كل شيء فلا تفعلي مثلهم.

– أليس مضحكا أن تفكر مثلي في كتابة وصيتها وهي لا تملك شيئا؟

– بل ستكون لك ثروة صغيرة، ولكن لها قيمتها، فلم لا وقد تعديت الحادية والعشرين من عمرك؟

– لا داعي للعجلة على كل حال.

– هكذا أنت كالآخرين الذين نعيب عليهم إرجاء كل شيء. إن تمتعك بالصحة لا يحول دون أن تهشمك سيارة أو عربة في أية لحظة. فضحكت "**ماري**" وقالت:

– أنا لا أعرف حتى كيف تكتب الوصية.

– من السهل أن تحصلي على استمارة من مكتب البريد. وفي كوخ الممرضة "**هوبكنز**" نشرت الاستمارة ونوقشت محتويات الوصية وسألتها "**ماري**" باسمة:

– من الذي يرثني إذا لم أترك الوصية؟

– والدك. إلا إذا..

– ... لن أدعه يرثني، أفضل أن أترك ما أملك لخالتي في "**نيوزيلندا**".

– هذا أفضل لأن والدك لن يعيش طويلا.

– ولكنني لا أذكر عنوان خالتي، ولم نسمع أخبارها منذ سنوات.

– لا يهم، أتعرفين اسمها؟

– "**ماري رابلي**".

– حسناً جداً.. اكتبي أنك تتركين كل شيء لـ"**ماري رايلي**" أخت المرحومة "**أليزا رايلي**" من أهالي "**هنتربري**".

فانحنت "**ماري**" على الاستمارة تكتب، ولما انتهت ارتعدت فجأة؛ لأن ظلا وقف بينها وبين الشمس. ولما رفعت رأسها رأت "**اليانور**" واقفة خارج النافذة تتطلع إلى الداخل.. وسرعان ما سألتها هذه:

– ماذا تفعلين باهتمام يا "**ماري**"؟ فقالت "**هوبكنز**" باسمة:

– إنها تكتب وصيتها.

– تكتب وصيتها؟! ثم ضحكت ضحكة هيستيرية وقالت:

– هذا شيء مضحك للغاية! ثم استدارت وهي لا تزال تضحك ومضت بسرعة في طريقها، بينما تمتمت "**هوبكنز**" قائلة:

– ماذا أصابها؟

◆◆◆◆◆

وفجأة شعرت "**اليانور**" بيد تسقط على ذراعها من الخلف، فالتفتت على

الفور لترى الدكتور "**لورد**" عابس الوجه يسألها :

– علام تضحكين هكذا؟ فأجابت :

– في الواقع لا أدري.

– هذا رد أبله!! فتضرج وجهها بحمرة الخجل وقالت :

– لابد أنني عصبية أو شيء من هذا القبيل؛ لأنني عندما شاهدت "**ماري جيرارد**" في كوخ الممرضة "**هوبكنز**" تكتب وصيتها انفجرت في الضحك لسبب لا أعرفه.

– سأصف لك مقويا لأعصابك. هذا هو العلاج الناجح لمن يكتمون عن الغير حقيقة حالهم.

– لا شيء هناك على الإطلاق.

– بل هناك أشياء كثيرة تكتمينها ولا تريدين أن تبوحي بها لأحد . هل ستبقين هنا طويلا؟

– سأرحل غدا.

– ولماذا لا تقيمين هنا؟

– لن أفعل هذا. بل سأبيع الضيعة والقصر إذا حصلت على ثمن طيب.. يجب أن أعود إلى القصر الآن.

ومدت يدها قائلة:

– ماذا تظن في رأسي من الأفكار؟

– هذا ما أود أن أعرفه.

– كل ما هنالك أنني وجدت من المضحك أن تفكر "**ماري**" في كتابة وصيتها.

– ليس في الأمر موضع للغرابة، بل كان واجبا أن تفطن السيدة "**ويلمان**" إلى أهمية ذلك فتكتب هي الأخرى وصيتها.

– نعم هذا صحيح.

– وأنت؟ هل فكرت في كتابة وصيتك؟

– أنا؟ كلا لم أفكر في هذا قط، ولكنني عندما أعود إلى المنزل سأكتب إلى السيد "**سيدون**" في هذا الشأن.

– هذا عين الصواب.

◆◆◆◆◆

ولما جلست إلى المنضدة في المكتبة أخذت تكتب إلى المحامي:

«عزيزي السيد "**سيدون**":

أرجو أن تكتب لي وصية لأوقعها.. وصية في غاية البساطة؛ لأنني أريد أن أترك كل شيء أمتلكه لـ"**رودريك ويلمان**"».

وفتحت الدرج ثم تذكرت أنها استعملت في هذا الصباح آخر طابع بريد لديها، وأن هناك بعض الطوابع في مخدع النوم، فمضت ترقى الدرج ولما عادت إلى المكتبة والطابع في يديها كان "**رودي**" واقفا بجوار النافذة، فقال يخاطبها:

– إذن سنغادر "**هنتربري**" في الغد. إن لهذا المكان العزيز ذكريات لن تمحى من مخيلتنا.

– ما رأيك في أنني سأعمل على بيع هذا القصر؟

– هذا خير ما تفعلين.

ثم ران عليهما صمت راحت "**اليانور**" في أثنائه تلصق الطابع على خطابها إلى المحامي.

- 6 -

تلقت الممرضة "**هوبكنز**" في 14 تموز (يوليو) الخطاب التالي من زميلتها الممرضة "**أوبريان**":

« كنت أود منذ بضعة أيام أن أكتب لك عن منزلي الجميل في "**ألبورو**" ، وإن كانت أسباب الراحة فيه لا تعدل ما نعمت به في "**هنتربري**" ولعل أكثر ما يضايقني ندرة الخادمات وقلة مهارتهن . أما مريضي فشاب هادئ، رقيق الحاشية، كان يعاني التهابا رِئويا، ولكن الأزمة قد انقضت لحسن الحظ، والذي أود أن أخبرك به ويدل على غرائب المصادفات أنني وجدت في غرفة الاستقبال إطارا كبيرا من الفضة على البيان، ولعلك لا تصدقينني إذا قلت لك: إن الصورةالتي في هذا الإطار هي نفس الصورة التي كانت ممضاة بتوقيع "**لويس**" في قصر "**ويلمان**" أي لنفس هذا الرجل! ولما سألت الساقي عن صاحب الصورة قال : إنها للسيد "**لويس رايكروفت**" شقيق السيدة "**راتري**" ، وإنه كان يعيش غير بعيد عن هنا، ثم قُتل في الحرب، وعلمت أنه كان متزوجا، وأن السيدة "**رايكروفت**" أدخلت مستشفى المجاذيب بعد زواجها مباشرة، وأنها مازالت بالمستشفى إلى اليوم. . ومعنى هذا أن السيد "**لويس**" والسيدة "**ويلمان**" كانا عاشقين، وأن الرجل لم يستطع الزواج بها؛ لأن امرأته كانت على قيد الحياة في المستشفى. . فيا لها من مأساة غرامية عجيبة!

أرجو أن تكتبي لي بكل أنبائك » .

المخلصة : « **إيلين أوبريان** »

وفي اليوم نفسه - 14 تموز (يوليو) - تلقت الممرضة "**أوبريان**" الخطاب التالي من زميلتها "**هوبكنز**" :

« عزيزتي "**أوبريان**" :

كل شيء هنا يسير عاديا لولا أن "**هنتربري**" أصبحت مهجورة وقد غادرها جميع الخدم، وكتب عليها الآن إعلان للبيع. وقد شاهدت السيدة "**بيشوب**" منذ يومين وهي تقيم مع أختها على مسيرة كيلومتر ونصف، وهي تتميز حنقا

لعرض "**هنتربري**" للبيع بعد أن كانت تؤكد أن "**اليانور**" سوف تتزوج "**رودي**" ويقيمان هنا، أما الآن فهي تؤكد أن هذا دليل على أن هذا الزواج لن يتم، وكذلك رحلت الآنسة "**اليانور**" إلى "**لندن**"، كما رحلت إليها "**ماري جيرارد**" لتتدرب فيها على التدليك، ومن حسن حظها أن أقنعت الآنسة "**اليانور**" بمنحها ألفي جنيه تشق بهما طريقها في مستقبل أيامها.

أتذكرين الصورة الممضاة باسم "**لويس**" التي كانت السيدة "**ويلمان**" قد طلبتها في لهفة لتراها قبل موتها؟ لقد صادف أن كنت أتحدث منذ يومين إلى السيدة "**سلاتري**" حارسة الدكتور "**رانسام**" سابقا. ذلك الطبيب الكهل الذي خلفه الدكتور "**لورد**".. فلما سألتها في معرض الحديث.

ماذا تعرف عمن يحملون اسم "**لويس**"؟ ذكرت السيد "**لويس رايكروفت**" الذي قُتل في نهاية الحرب، وكان يقيم في "**فوريس بارك**"، ولما ذكرت لها أنه كان صديقا للسيدة "**ويلمان**" أكدت أنهما كانا أكثر من صديقين ولم تزد على ذلك، ولكنني فسرت هذا بأن السيدة "**ويلمان**" كانت أرملة، وربما كانت تمني نفسها بالزواج به. غير أن السيدة "**سلاتري**" قالت:

– ما كان في وسعها أن تتزوجه؛ لأن له زوجة في مستشفى المجاذيب. وهل تذكرين الشاب الصبيح الوجه المدعو "**تيد بيجلاند**" الذي كان يحوم حول "**ماري جيرارد**"؟

لقد طلب إليّ أن أعطيه عنوانها في "**لندن**" ولكني لم أعطه شيئًا؛ لأنني واثقة بأن الفتاة لا تراه الآن من طبقتها، ولأني أعتقد أن "**رودي**" يهيم بها شغفا منذ وقعت عيناه عليها أخيرا. ولعل هذا هو سبب انفصام الخطبة بينه وبين "**اليانور**"، ذلك الانفصام الذي يكاد يذهب بعقل "**اليانور**". والواقع أنني أعجب لتعلقها العجيب بالسيد "**روديك**" ولا أجد فيه ما يبعث على هذا التعلق الشديد!

ويؤسفني أن أخبرك أن الكهل "**جيرارد**" تسوء صحته ويزداد توتر أعصابه، حتى لقد صاح منذ أيام أن "**ماري**" ليست ابنته، ولما عاتبته وطلبت إليه أن يخجل من كلامه تطلع إليّ ثم قال:

« أنت لست سوى حمقاء لا تعلمين شيئا » ولكني سلقته بلساني؛ لأن زوجته كانت وصيفة السيدة "**ويلمان**" قبل زواجهما، وكانت فتاة شريفة طيبة ».

المخلصة "**جيسي هوبكنز**"

وتلقت "**اليانور**" من "**رودريك**" في اليوم التالي 15 تموز (يوليو) الخطاب التالي:

«عزيزتي "**اليانور**":

لقد تسلمت خطابك على التو، وأظنك قد أحسنت كثيراً بالتفكير في بيع "**هنتربري**"، وإن كنت ستلاقين بلا شك بعض الصعوبات في التخلص من هذا البيت العتيق الذي لا تتوافر فيه أسباب الراحة الحديثة على الرغم من تجديده عدة مرات.

الطقس هنا جميل، وأقضي ساعات في البحر عازفًا عن الاختلاط بالناس ما استطعت إلى ذلك سبيلا، كما أفكر في أن أقضي على ساحل "**دالماسيا**" أسبوعا أو اثنين، وسيكون عنواني من 22 الجاري: شركة "**توماس كوك**" بـ"**دافرونيك**" حتى إذا استجد ما أستطيع أن أعمله أمكن أن تتصلي بي على الفور».

المخلص المعجب الشاكر – "**رودي**"

وتلقت في 20 تموز (يوليو) الخطاب التالي من السيد "**سيدون**"

«عزيزتي الآنسة "**اليانور كارليسل**" :

أرجو أن توافقي على ما يعرضه العقيد "**سمر فيل**" من شراء "**هنتربري**" بمبلغ 12500 جنيه؛ لأنه عرض سخي في الواقع. وأرجو أن توافيني بموافقتك بصفة عاجلة؛ لأن العقيد عرضت عليه منازل أخرى في المقاطعة وليس لديه مانع من استئجار المنزل بأثاثه لمدة ثلاثة أشهر، نكون أثناءها قد أنهينا الإجراءات الرسمية الخاصة بالبيع.

أما عن الحارس "**جيرارد**" فلا داعي للتفكير في إعداد معاش له؛ لأن الرجل كما سمعت قد اشتد به المرض ويحتمل أن يموت بين يوم وآخر.

ولما كانت إجراءات الوراثة لم تتم بعد فقد صرفت الآنسة "**ماري جيرارد**" مائة جنيه من حسابها».

المخلص – "**إيدموند سيدون**"

وفي يوم 24 تموز (يوليو) تلقت "**اليانور**" من دكتور "**لورد**" الخطاب التالي:

«عزيزتي الآنسة "**اليانور كارليسل**" :

لقد تُوفي الكهل "**جيرارد**" اليوم، فهل من خدمة أؤديها؟

سمعت أنك بعت المنزل للعقيد "**سمر فيل**" وأرجو أن تكون صفقة طيبة».

المخلص – "**بيتر لورد**"

وفي 25 تموز (يوليو) كتبت "**اليانور**" إلى "**ماري جيرارد**" تقول:

«عزيزتي "**ماري**" :

يؤسفني أن أسمع بوفاة والدك. لقد عرض عليَّ العقيد "**سمر فيل**" شراء "**هنتربري**" ويتعجل تسلمه، ولذلك سأذهب إلى هناك لأفحص أوراق عمتي وأخلي المنزل مما يحسن التخلص منه؛ فهل لك أن تعملي من جانبك على إخلاء

الكوخ من متاع والدك؟

أرجو لك الصحة والتوفيق في التدريب على التدليك . . . » .

المخلصة – "**اليانور كارليسل**"

وفي نفس اليوم كتبت "**ماري**" إلى الممرضة "**هوبكنز**" تقول:

« عزيزتي الآنسة "**هوبكنز**" :

أشكر لك خطابك عن والدي، ويسرني أنه لم يعان كثيرا، وقد تلقيت اليوم من الآنسة "**اليانور**" أنها باعت "**هنتربري**"، وقد طلبت إليَّ أن أخلي الكوخ في أقرب وقت؛ فهل أطمع في أن تستضيفيني غدا إذا حضرت تشييع الجنازة؟ لا تهتمي بالرد في حالة الموافقة » .

المخلصة المحبة – "**ماري جيرارد**"

- 7 -

عندما بلغت "**اليانور**" الطريق الرئيسي في يوم الخميس 27 تموز (يوليو) صاحت فجأة صيحة سرور وعبرت الشارع هاتفة:

– السيدة "**بيشوب**" !

– الآنسة "**اليانور**"؟ لو كنت أعلم أنك في "**هنتربري**" لبادرت إلى مقابلتك بنفسي. هل جئت معك بأحد من "**لندن**" لخدمتك؟ فهزت "**اليانور**" رأسها وقالت:

– أنا لست مقيمة في المنزل، بل في فندق "**كنجز آرمز**" .

– هل بعته حقيقة؟

– نعم. إلى العقيد "**سمر فيل**" .. النائب الجديد الذي انتخب في مكان نائبنا الراحل، ويسرني أن يشتري المنزل رجل يرغب في أن يشغله بنفسه، وكان

يؤلمني أن ينقلب إلى فندق أو يهدم ليشيد في مكانه منزل على الطراز العصري.. ولولا أنه أكبر من حاجتي لفكرت في أن أقيم به. ثم نظرت إلى المرأة في عطف وقالت:

– أيروقك شيء من أثاث المنزل يا سيدة "**بيشوب**"؟

– الحق أنني معجبة بالمكتب الصغير الذي بغرفة الاستقبال.

– خذيه مع المقاعد التي من طرازه.

– شكرا على كرمك يا آنسة "**اليانور**". ولهذه المناسبة أخبرك أنني أقيم الآن مع أختي، فهل أذهب لأقوم بما تحتاجين إليه من مساعدة؟

– كلا. شكرا.

– أظنك تعلمين أن "**ماري جيرارد**" هنا، وأن جنازة والدها كانت بالأمس، وهي تقيم مع الممرضة "**هوبكنز**" وسمعت أنهما ذهبتا في الصباح إلى الكوخ.

– أنا التي طلبت إليها إخلاء الكوخ.. سأمضي الآن وسأذكر رغبتك في المكتب والكراسي.

ومضت الفتاة إلى الخباز فاشترت رغيفا، ثم إلى بائع الحليب (اللبن) فابتاعت نصف ربع كيلو من الزبد وبعض الحليب، وأخيرا ذهبت إلى (البدَّال) وطلبت علبة من سمك السلمون وهي تقول:

– أرجو أن يكون السمك طازجا؛ لأن كثيرا من الوفيات تحدث بسبب التسمم بالسمك. أليس كذلك؟

فأجابها الرجل ويدعى "أبوت":

– أؤكد لك أن هذا السمك طازج، ومن أحسن الأصناف، ولم يشك منه أحد من قبل.

ومضت من فورها فدخلت "**هنتربري**" من البوابة الخلفية وكان الجو صحواً حارا، ومساعد البستاني "**هرليك**" يشذب الأزهار – وكان هو الخادم الوحيد

الذي أبقت عليه – فلما شاهدها حياها في احترام وقال:

– لقد تلقيت خطابك يا سيدتي، وفتحت النوافذ والباب الجانبي.. بلغني أنك بعت المنزل؛ فهل أطمع في توصية منك إلى العقيد "**سمر فيل**"؟ فأجابته باسمة:

– بالطبع يا "**هرليك**".

– شكرا يا سيدتي.. كنا نتمنى أن يظل المنزل للعائلة.

ومضت الفتاة وقد شعرت بأنها أشبه بالسد المحطم، تجرفه المياه والأمواج وراحت تحدث نفسها قائلة:

«لولا "**ماري جيرارد**" لبقيت و"**رودي**" في هذا المنزل الذي يذكرني كل ما فيه بطفولتنا الهانئة. ترى أي سحر في الفتاة سلبه لبه بهذه السرعة العجيبة؟ إن بالفتاة مزايا ومواهب تستحق الإعجاب، ولكنه لا يعرف عنها شيئا. إذن فهو الحب الذي يقول عنه الشعراء: إنه وليد النظرة الأولى، ولو أن "**ماري**" ماتت – مثلا – لأفاق "**رودي**" من نشوته، ولنجت روحه من تأثير هذا السحر الطاغي الذي يتملكه. آه لو يحدث شيء لهذه الفتاة!»

وأدارت مقبض الباب الخارجي فتملكتها رعدة كأنما يقبع شر في ذلك المنزل، ومضت عبر الردهة إلى الغرفة التي كان يحفظ فيها خزين المنزل فوضعت حملها من الزبد والخبز وزجاجة الحليب (اللبن)، ثم فتحت علبة السمك المحفوظ وراحت تحملق إليها لحظة طويلة. وأخيرا غادرت القبو وارتقت الدرج إلى غرفة السيدة "**ويلمان**" حيث راحت تخرج الملابس من الدولاب وتفتح الأدراج وتفرز ما بها. وفي تلك الأثناء كانت "**ماري جيرارد**" في الكوخ تحدث الممرضة "**هوبكنز**" قائلة:

– أصحيح ما قاله أبي في ثورته. من أنه ليس والدي؟ فبدا الارتباك على الممرضة وقالت:

– أصغي إليَّ يا "**ماري**" . إن المرضى وكبار السن كثيرا ما يهرفون في غضبهم، فما بالك بالسيد "**جيرارد**" الذي كان مهدم الأعصاب، ولهذه المناسبة ماذا قررت أن تعملي بأثاث الكوخ؟

– لا أدري في الواقع ماذا يجب أن أعمله؟ ماذا ترين؟

– أرى أن تحتفظي بالمتين منه، فتهيئي به شقة صغيرة في "**لندن**" .

– لقد كان المحامي السيد "**سيدون**" طيبا معي، فأرسل لي مائة جنيه على الحساب؛ لأبدأ بها تدريبي على التدليك، لأن بقية النقود لن أتسلمها قبل شهر على الأقل. ومضت تبحث في أوراق أبيها القديمة ثم هتفت:

– هذه وثيقة زواج أبي وأمي في "**سانت البان**" سنة 1919 ولكن يا لله!!

– ماذا يا "**ماري**" ؟

– نحن الآن في سنة 1939 وسني 21 سنة، فكيف ولدت إذن بعد سنة 1919 ؟ هذا معناه أن زواجهما كان بعد ولادتي! فتجهمت أساريز المرضة وقالت

– كثيرا ما يحدث أن يتزوج العاشقان بعد أن يولد لهما طفل درءًا للفضيحة، أو تكفيراً عن علاقتهما السابقة.. لا تهتمي كثيرا بذلك.

– كلا. كلا. لقد كان أبي على حق عندما قال لي إنني لست ابنته. بل إن هذا يفسر كراهيته لي.

– الواقع أنك لست ابنته يا "**ماري**" .

– وكيف عرفت؟

– لقد تحدث أبوك عن هذا كثيرا قبل موته على الرغم من محاولتي نهره وإسكاته وحمله على الصمت والشعور بالخجل. ولولا إلحاحه، ولولا أنك ستعرفين الحقيقة عاجلا أو آجلا ما اضطررت إلى الإفضاء إليك بهذا الواقع المر.

– ومن والدي الحقيقي؟

فترددت الممرضة قليلا ولكنها ما إن فتحت فمها حتى أقفلته في الحال إشفاقا على الفتاة، أو لأنها شاهدت ظلا يسقط عبر الحجرة ثم شاهدت "**اليانور**" واقفة في النافذة وحدثتها هذه قائلة:

– طاب صباحك. لقد كنت أعد بعض الشطائر "**السندويتشات**" فهل لكما في مشاركتي إياها وقد بلغت الساعة الواحدة وآن وقت تناول الغداء. إن لدي ما يكفي لثلاثتنا. ومضين إلى الردهة الباردة، وشعرت "**ماري**" بأوصالها ترتجف فسألتها "**اليانور**":

– ماذا بك؟ فأجابتها:

– لا شيء. مجرد رجفة. لعل سببها أنني آتية من.. مكان مشمس.

– هذا عجيب! لقد شعرت بمثل ذلك هذا الصباح. فضحكت "**هوبكنز**" وقالت:

– بقي أن تجزما بوجود أشباح وأرواح.

وتقدمتهما إلى غرفة الجلوس إلى يمين الباب الخارجي، حيث كانت الستائر مرفوعة فزايلت الكآبة الفتاتين وعاودهما المرح. ومضت "**اليانور**" عبر الردهة ثم عادت تحمل صحفة كبيرة عليها الشطائر، وقدمتها أولا إلى "**ماري**" التي تناولت إحداها. ووقفت "**اليانور**" ترمقها لحظة وهي تلتهم "**السندوتش**" في فمها الصغير بأسنانها الناصعة. ثم سرح خاطرها وأخيرا انتبهت إلى شفتي "**هوبكنز**" تنفرجان عن جوع، فأسرعت تقدم إليها الطعام، ثم تناولت بدورها إحدى الشطائر، وقالت معتذرة:

– نسيت أن أحضر بعض الحليب (اللبن) لعمل القهوة، ولكن توجد بعض زجاجات من الشراب لمن تريد منكما. فقالت "**هوبكنز**":

– لو أنني تذكرت لجئت ببعض الشاي.

– يوجد شاي في غرفة كبير الخدم.

فأسرعت "**هوبكنز**" تحضر بعضه وقد أشرقت أساريرها، وبقيت "**اليانور**" و"**ماري**" وحدهما معا، فسرى في الجو شعور عجيب من التوتر حاولت "**اليانور**" أن تخفيه وقالت:

– هل أحببت عملك في "**لندن**"؟

– نعم. أشكرك ولن أنسى لك هذا الفضل . ولكن ماذا حدث؟

– ماذا؟

– إنك تحملقين إلى وجهي بشدة. فضحكت "**اليانور**" وقالت:

– أحقًّا؟ هذه عادتي عندما أكون غائصة في التفكير. أنا آسفة. وأطلت "**هوبكنز**" قائلة:

– سأضع إناء الشاي على النار. وانفجرت "**اليانور**" مرة أخرى في نوبة فجائية من الضحك، وقالت تحدث "**ماري**":

– أتذكرين أيام كنا طفلتين.. أتحبين العودة إلى هذا العهد؟

– نعم.. نعم. ولكن يجب ألا تعتقدي يا آنسة "**اليانور**"...

ولكنها توقفت عن الكلام عندما شاهدت جسم "**اليانور**" يتصلب، فجأة ثم سمعتها تقول في صوت ثاقب:

– ماذا يجب ألا أعتقده..؟

– نسيت ما كنت.. أريد أن أقوله..

وقدمت "**هوبكنز**" تحمل صحفة عليها ثلاثة أقداح من الشاي والحليب (اللبن) فزال توتر "**اليانور**"، وقالت:

– شكرا.. تناولا أنتما الشاي فليست بي رغبة في شرب شيء.. ثم دفعت الصحفة أمام "**ماري**".. وبعد أن فرغت "**هوبكنز**" من احتساء قدحها قالت:

– سأذهب الآن لأطفئ الموقد فقد تركته موقدا؛ توقعًا لطلب المزيد من الشاي.

وتقدمت "**اليانور**" من النافذة فالتقطت صحفة الشاي، ووضعت عليها طبق "**السندويتشات**" الفارغ، وحينئذ وثبت "**ماري**" قائلة:

– أوه يا آنسة "**اليانور**".. هاتي عنك! فقالت لها "**اليانور**" في حدة:

– كلا.. ابقي أنت في مكانك واتركي لي هذا.

ثم حملت الصحفة إلى خارج الردهة وتطلعت إلى الخلف من فوق كتفها إلى "**ماري**" التي وقفت بجانب النافذة وقد اكتمل جمالها وشبابها.. وكانت "**هوبكنز**" في القبو تمسح وجهها بمنديلها، فلما شاهدت "**اليانور**" مقبلة عليها قالت:

– ما أشد الحر هنا..! ثم تقدمت تأخذ الصحفة منها قائلة:

– دعيني أغسلها يا آنسة "**كارليسل**". وراحت ترفع كميها ونظرت "**اليانور**" إلى رسغها وقالت:

– هل جرحت نفسك..؟ فأجابت ضاحكة:

– دخلت شوكة من شجر الورد في رسغي وسوف أنتزعها.

– أين..؟

– عند سور الورود حول الكوخ.

ورفعت "**اليانور**" علبة السمك المحفوظ الفارغة عن المنضدة ثم وضعتها في الحوض بين الأقداح والصحاف. ولما انتهت "**هوبكنز**" من مهمتها عادت كلتاهما ترقيان الدرج إلى غرفة السيدة "**ويلمان**". وهناك ساعدت الممرضة "**اليانور**" في فرز الملابس التي يحسن منحها لبعض الفقيرات من الجارات. وفجأة تساءلت الممرضة:

– هل ذهبت "**ماري**" إلى الكوخ؟ فأجابتها "**اليانور**":

– لقد تركتها في غرفة الاستقبال.

– لا يمكن أن تبقى هناك طوال هذا الوقت. ثم تطلعت إلى ساعتها وقالت:

- لا يمكن لأننا مكثنا هنا حوالي ساعة كاملة. وأسرعت تهبط الدرج فتبعتها "**اليانور**" وما لبثت "**هوبكنز**" أن صاحت:

- ما كنت أتصور هذا.. لقد غلب عليها النوم. وكانت "**ماري**" جالسة في مقعد كبير بجوار النافذة، وقد سقط رأسها على صدرها فهزتها الممرضة لتوقظها قائلة:

- استيقظي يا عزيزتي. ثم سكتت فجأة وانحنت على الفتاة وراحت تهزها من جديد. وأخيرا التفتت إلى "**اليانور**" وقالت وفي صوتها نبرة تهديد:

-ما معنى هذا؟

- لا أعلم ماذا تعنين؟ أهي مريضة؟

- أين التليفون؟ اتصلي بالدكتور "**لورد**" بأسرع ما تستطيعين.

- ماذا جرى؟

- الفتاة تموت.

- تموت؟!

- لقد سممت. وحدجت "**اليانور**" بنظرة ثاقبة.. مليئة بالشك والوعيد.

- 8 -

راح "**هركيول بوارو**" يرقب الشاب الذي مضى يذرع الغرفة جيئة وذهابا في عصبية ثم قال:

- حسنًا يا صديقي.. ما الخطب؟ ووقف "**بيتر لورد**" في مكانه وكأنه قد شل ثم قال:

- السيد "**بوارو**".. أنت الشخص الوحيد في العالم الذي يمكنه مساعدتي.. لقد سمعت "**ستيلنج فليت**" يتحدث عنك، وقد ذكر لي ما صنعته في قضية

"**بندكت فارلي**" ، وكيف أن كل امرئ ظن أن الأمر انتحار حتى جئت أنت فاثبت أنها جريمة قتل. فقال "**بوارو**" :

– هل عندك قضية انتحار بين مرضاك لا تشعر بارتياح إليها؟ فهز "**بيتر لورد**" رأسه ثم جلس مواجها "**بوارو**" وقال :

– هناك سيدة صغيرة.. قبض عليها وستحاكم بجريمة قتل، وأنا أريد منك أن تجد ما يثبت أنها لم ترتكب تلك الجريمة. وارتفع حاجبا "**بوارو**" قليلا ثم قال في صوت خافت :

– هل أنت وتلك السيدة الصغيرة خطيبان؟

– نعم.

– هل يحب كل منكما الآخر؟ وضحك "**بيتر لورد**" وقال :

– لا، ليس الأمر كذلك.. إن ذوقها سيئ؛ لأنها تفضل حمارا ذا أنف كبير، ووجه كوجه حصان مجنون.. غباء منها.. ولكن هكذا الحال.. فقال "**بوارو**" :

– حسناً. وقال "**لورد**" بمرارة :

– أنت تقول حسناً.. لا داعي لأن تكون دبلوماسيا في هذا الموضوع.. لقد وقعت في حبها منذ اللحظة الأولى.. ولذلك لا أريد أن تشنق. فسأله "**بوارو**" :

– ما التهمة الموجهة إليها؟

– إنها متهمة بأنها قتلت فتاة تدعى "**ماري جيرارد**" بتسميمها بـ"**هيدروكلوريد المورفين**".. ومن المحتمل أنك قرأت نتيجة التحقيق في الصحف. فسأل "**بوارو**" :

– وما الدافع إلى الجريمة؟

– الغيرة.

– وفي رأيك أنها لم ترتكب تلك الجريمة؟

– بالطبع لا. ونظر إليه "**بوارو**" مفكرا برهة ثم قال :

– ما – بالضبط – الذي تريد مني عمله؟ أتحرى الموضوع؟

– أريد منك أن تنقذها.

– لست محامي دفاع يا عزيزي.

– سأجعل الموضوع أكثر وضوحا لك.. أريد منك أن تجد دليلا يساعد محاميها على إنقاذها. فقال "**بوارو**" :

– أنت تقول ذلك بطريقة غريبة بعض الشيء. فقال "**بيتر لورد**" :

– ما أريده ببساطة هو الإفراج عن تلك الفتاة، وأظن أنك الرجل الوحيد الذي يمكنه ذلك.

– تريد مني أن أتحرى الحقائق؟ أي أن أجد الحقيقة؟ وأكتشف ما حدث فعلا؟

– أريد أن تجد أي نوع من الحقائق يمكن أن يكون في مصلحتها. وأشعل "**بوارو**" سيجارة رفيعة في عناية ودقة ثم قال:

– ولكن الحقيقة سلاح ذو حدين.. لنفرض أنني وجدت حقائق ضد السيدة أتطلب إليّ ألا أعلنها؟ ووقف "**بيتر لورد**" وهو شاحب الوجه وقال:

– هذا مستحيل.. إنك لن تجد ضدها أكثر من الحقائق الموجودة الآن.. إن الأدلة التي ضدها مدبرة تماما.. ولن تستطيع العثور على شيء يدينها أكثر مما هي عليه الآن.. إنني أسألك أن تستخدم كل عبقريتك حتى تجد ثغرة.. أية ثغرة. فقال "**بوارو**" :

– من المؤكد أن المحامين عنها سيفعلون ذلك. وضحك الشاب ضحكة استهزاء وقال:

– أتراهم سيفعلون ذلك؟.. لقد يئسوا قبل أن يبدءوا، فهم يظنون أن القضية لا أمل فيها.. وقد استشاروا "**بولمر**".. وذلك اعتراف ضمني منهم بفشلهم.. فليس "**بولمر**" إلا خطيبا فذا بارعا في التوسل والتباكي.. وسيعتمد على صغر

سن المتهمة؛ لإثارة شفقة المحلفين.. ولكن القاضي لن يدعه يستغل ذلك. فقال "**بوارو**":

– ولنفرض أنها مذنبة.. هل تريد على الرغم من ذلك أن يفرج عنها؟ فقال "**بيتر لورد**" في هدوء:

– نعم. وتحرك "**بوارو**" في مقعده وقال:

– إنك تثير اهتمامي. وبعد دقيقة أو دقيقتين قال:

– أظن أنه من الأفضل أن تذكر لي الوقائع بدقة.

– ألم تقرأ عنها شيئًا في الصحف؟ فلوح "**بوارو**" بيديه وقال:

– قرأت شيئا عنها.. ولكن الصحف لا تتحرى الدقة وأنا لا آخذ أبدا بما تقول. فقال "**بيتر لورد**":

– إن الأمر بسيط جداً.. هذه الفتاة.. "**اليانور كارليسل**".. كانت قد ورثت منزلا قريبا من هنا يدعى "**هنتربري هول**".. ومعه ثروة لا بأس بها ورثتهما عن عمتها التي ماتت دون أن تترك وصية.. وكان للعمة قريب من ناحية زوجها اسمه "**رودريك ويلمان**".. وكان خاطبا لـ"**اليانور كارليسل**" منذ زمن طويل؛ إذ كان كل منهما يعرف الآخر منذ الطفولة.. وكانت هناك فتاة أخرى في "**هنتربري**" اسمها "**ماري جيرارد**".. ابنة حارس المنزل. وكانت العجوز السيدة "**ويلمان**" تهتم بها اهتماما كبيرا.. فدفعت نقودا لتعليمها... إلخ ونشأت الفتاة سيدة محترمة.. ويبدو أن "**رودريك ويلمان**" أحبها ولذلك فسخت "**اليانور**" خطبته.

والآن ننتقل إلى ما حدث.. عرضت "**اليانور كارليسل**" المنزل للبيع واشتراه رجل يدعى "**سمر فيل**"، وحضرت "**اليانور**" لتأخذ أمتعة عمتها الخاصة.. وكانت "**ماري جيرارد**" التي توفي والدها حديثا قد حضرت لإخلاء الكوخ الملحق الذي كان يقطن به أبوها، وهذا يصل بنا إلى يوم 27 من تموز (يوليو)

في الصباح.

كانت "**اليانور كارليسل**" تقيم في الفندق، وفي الطريق قابلت مدبرة المنزل السابقة السيدة "**بيشوب**"، واقترحت السيدة "**بيشوب**" أن تذهب معها إلى المنزل لمساعدتها ورفضت "**اليانور**" بإصرار.. ثم ذهبت إلى "البدّال" واشترت علبة سمك، وهناك أبدت ملاحظة عن التسمم من المأكولات.. شيء في منتهى البراءة.. ولكنهم بالطبع اتخذوه دليلا ضدها.. ثم ذهبت إلى المنزل.. وحوالي الساعة الواحدة ذهبت إلى الكوخ حيث كانت "**ماري**" مشغولة مع ممرضة الحي- وهي امرأة فضولية تدعى "**هوبكنز**" كانت تساعدها- وذكرت لهما أن عندها شطائر في المنزل فذهبتا معها إلى هناك، وأكلتا الشطائر، وبعد حوالي ساعة استدعيت فوجدت "**ماري جيرارد**" غائبة عن وعيها.. وبذلت قصارى جهدي ولكن بلا فائدة. وأوضح التشريح أن هناك كمية من "**المورفين**" تناولتها "**ماري**" قبل ذلك بفترة قصيرة.. ثم وجد البوليس بطاقة من التي تلصق على زجاجات الأدوية في المكان الذي كانت "**اليانور كارليسل**" تعد فيه الشطائر وقد كتب عليها "**هيدروكلوريد المورفين**".

– وهل أكلت "**ماري جيرارد**" أو شربت شيئًا آخر؟

– لقد صنعت الممرضة الشاي، وكانت "**ماري**" هي التي صبته في الأقداح، ولا يمكن أن يكون فيه شيء.. بطبيعة الحال، أنا أتوقع أن الدفاع سيستغل موضوع الشطائر ويقول: إن الثلاثة قد أكلن منها، وعلى ذلك فمن المستحيل أن تضمن أن شخصا واحدا معينا يمكن تسميمه عن طريقها. وقد قيل ذلك – كما تذكر – في قضية مشابهة هي قضية "**هيرن**". فأومأ "**بوارو**" برأسه وقال:

– ولكن الواقع أن الموضوع بسيط جداً؛ إذ يمكنك عمل مجموعة من الشطائر، وفي واحدة منها فقط تضع السم ثم تقدم الطبق.. وفي عالمنا المتمدين تعرف أن الشخص الذي تقدم إليه الشطائر سيأخذ أقرب شطيرة إليه.. وأظن أن "**اليانور**

كارليسل" قدمت طبق الشطائر أولا إلى "**ماري جيرارد**" ؟

– تماما.

– على الرغم من أن الممرضة الأكبر سنا كانت في الغرفة؟

– نعم.

– هذا شيء لا يبدو حسنا.

– إن هذا لا يعني شيئًا حقًّا.. فأنت لا تراعي الواجبات في نزهة مثلا.

– من الذي أعد الشطائر؟

– "**اليانور كارليسل**".

– هل كان هناك فرد آخر في المنزل؟

– لا أحد. فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– هذا سيئ... تقول إن الفتاة لم تتناول شيئا سوى الشاي والشطائر.

– لا شيء.. ومحتويات المعدة تؤكد ذلك. فقال "**بوارو**":

– هناك نقطة أخرى، إذا كان تسميم الغذاء هو المقصود فلماذا لم يتم اختيار سم آخر؟ فعوارض التسمم بـ"**المورفين**" لا تشبه حتى في القليل أعراض التسمم الغذائي.. وكان "**الأتروبين**" يعد اختيارا أفضل. فقال "**بيتر لورد**":

– نعم.. هذا صحيح.. ولكن هناك شيء آخر، فهذه الممرضة اللعينة تقسم أنها فقدت أنبوبة من "**المورفين**" في الليلة التي ماتت فيها السيدة "**ويلمان**".. وتقول الممرضة: إنها تركت حقيبتها في "الصالة"، وفي الصباح اكتشفت عدم وجود أنبوبة من "**المورفين**" كانت فيها.. كل هذا كلام فارغ.. أنا متيقن من ذلك.. ربما تكون قد كسرتها في المنزل قبل ذلك ونسيت. تقول إنها تذكرت تلك الأنبوبة فقط عند موت "**ماري جيرارد**". فقال "**بيتر لورد**":

– الحقيقة.. أنها ذكرت ذلك في وقته للممرضة التي كانت عليها الخدمة وقتئذ. وراح "**بوارو**" ينظر إلى "**بيتر لورد**" ببعض الاهتمام. ثم قال في رقة:

– أظن يا عزيزي أن هناك شيئا آخر.. لم تذكره لي بعد. فقال "**بيتر لورد**" :

– أووه! حسنًا.. أظن أنه من الأفضل أن أذكر لك كل شيء، لقد تقدموا بطلب تشريح جثة السيدة "**ويلمان**" .

– حسنًا.

– فإذا فعلوا ذلك.. فمن المحتمل أنهم سيجدون ما يبحثون عنه.

– "**المورفين**" ..؟ وهل كنت تعرف ذلك؟ فقال "**بيتر لورد**" وقد ابيضَّ وجهه:

– لقد شككت في الأمر. ومضى "**بوارو**" يدق بقبضته على ذراع المقعد ثم هتف:

– يا إلهي! أنا لا أفهم هذا.. هل كنت تعلم – عندما ماتت – أنها ماتت مقتولة؟ فصاح "**بيتر لورد**" :

– يا لله! كلا، لم أتصور شيئًا كهذا قط.. لقد ظننت أنها تناولته بنفسها. واستند "**بوارو**" على مقعده وقال:

– آه! هل خطر لك ذلك؟

– طبعا إنها تحدثت إليَّ في هذا الشأن.. وقد سألتني أكثر من مرة إذا كنت لا أنهي كل شيء بالنسبة إليها فقد كانت تكره المرض.. وعدم إمكانها القيام بعمل شيء.. كانت ترى ذلك مهينا للكرامة.. أن ترقد ويعنى بها كطفلة.. وكانت سيدة قوية العزيمة. وسكت برهة ثم قال:

– لقد دهشت لموتها فلم أكن أتوقعه، ولذا أخرجت الممرضة من الغرفة، وبدأت أكشف عليها بدقة على قدر إمكاناتي، وبالطبع كان من المستحيل التيقن بدون إجراء تشريح.. ولكن أية فائدة ترجى من ذلك؟ فإذا كانت قد اختارت أن تنهي حياتها فلماذا نعلن ذلك على الملأ ونسبب فضيحة.. من الأفضل التوقيع على شهادة الوفاة لتدفن في هدوء.. ومع كل.. فأنا لم أكن

متيقنا ربما أكون قد قررت الشيء الخطأ.. ولكنني لم أتصور لحظة واحدة أن في الأمر جريمة.. كنت متيقنا أنها فعلت ذلك بنفسها. فسأله "**بوارو**" :

– كيف تظن أنها حصلت على "**المورفين**"؟

– ليس عندي أدنى فكرة ولكني أقول لك.. إنها كانت امرأة ذكية لا تعدم الحيلة وقوة العزيمة.

– أتظن أنها أخذته من الممرضات؟ فهز "**بيتر لورد**" رأسه نفيا وقال:

– لا يمكن.. أنت لا تعرف الممرضات.

– أمن أحد أفراد أسرتها إذن؟

– ممكن.. ربما تكون قد أثرت على مشاعرهم. فقال "**بوارو**" :

– ذكرت لي أن السيدة "**ويلمان**" ماتت دون أن تترك وصية.. فلو أنها عاشت هل كانت ستكتب وصية؟ فابتسم "**بيتر لورد**" وأجاب:

– أنت تضع أصبعك في مهارة شيطانية على جميع النقاط المهمة.. نعم.. كانت ستكتب وصية.. وكانت مضطربة جداً لهذا السبب.. كانت لا تعرف التكلم بصوت مفهوم، ولكنها جعلت رغبتها مفهومة لنا، وكان على "**اليانور كارليسل**" أن تتحدث إلى المحامي بالتليفون في صباح اليوم التالي.

– إذن كانت "**اليانور كارليسل**" تعرف أن عمتها تريد كتابة وصية؟ وأنه إذا ماتت عمتها بدون كتابة وصية.. فإنها ترث كل شيء؟ فقال "**بيتر لورد**" بسرعة:

– لم تكن تعرف ذلك.. لم تكن لديها أية فكرة في أن عمتها لم تكتب وصية قط.

– هذا يا صديقي ما تقوله هي.. ربما كانت تعرف ذلك.

– اسمع يا سيد "**بوارو**" . هل أنت محامي الادعاء؟

– في هذه اللحظة. نعم.. لابد أن أعرف مقدار قوة الاتهام ضدها.. هل

كانت "**اليانور كارليسل**" تستطيع أن تأخذ أنبوبة "**المورفين**" من الحقيبة؟

– نعم.. وكان يستطيع ذلك أي شخص آخر: "**رودريك ويلمان**".. أو الممرضة "**أوبريان**".. أوأي فرد من الخدم.

– أو الدكتور "**لورد**"؟ وزاد اتساع عيني الدكتور "**لورد**" وقال:

– طبعا.. ولكن ماذا أستفيد من ذلك؟

– بدافع الرحمة. فهز "**بيتر لورد**" رأسه وقال:

– لا.. وعليك أن تصدقني. وأسند "**بوارو**" ظهره إلى المقعد ثم قال:

– دعنا نفرض شيئًا.. لنقل إن "**اليانور كارليسل**" أخذت فعلا أنبوبة "**المورفين**" من الحقيبة وقدمته فعلا لعمتها.. فهل قيل شيء عن فقد "**المورفين**"؟

– لم يذكر شيء للخدم فقد احتفظت الممرضتان بالسر بينهما.. فقال "**بوارو**":

– ما رأيك فيما سيقوله الادّعاء؟

– أتعني إذا وجد في جسد السيدة "**ويلمان**" "**مورفين**"؟

– نعم. فقال "**بيتر لورد**":

– من المؤكد أنه إذا أفرج عن "**اليانور كارليسل**" في التهمة الحالية، فإنها قد يعاد القبض عليها وتسند إليها تهمة قتل عمتها. فقال "**بوارو**":

– إن الدوافع تختلف.. أعني أنه في حالة السيدة "**ويلمان**" نجد أن الدافع قد يكون المغنم. على حين نجد في حالة "**ماري جيرارد**" أن الدافع مفروض أن يكون الغيرة.

– هذا حقيقي. فقال "**بوارو**":

– ما الأساس الذي سيتبناه الدفاع؟ فقال "**بيتر لورد**":

– يقترح "**بولمر**" أن يبني دفاعه على أساس عدم وجود أي دافع، وسيقدم نظرية تقول: إن الخطوبة بين "**اليانور**" و"**رودريك**" كانت إجراءً عائليا أملته

أسباب عائلية لإرضاء السيدة "**ويلمان**"، وإنه في اللحظة التي توفيت فيها السيدة العجوز قامت "**اليانور**" نفسها بفسخها، وسيقدم "**رودريك**" ما يثبت ذلك، وأظن أنه يكاد يؤمن بهذه الحقيقة.

– يؤمن بأن "**اليانور**" لم تكن تعنى به إلى حد كبير؟

– نعم.

– في هذه الحالة لن يكون لديها سبب يدعوها لقتل "**ماري جيرارد**".

– تماما.

– وإذا صح ذلك فمن الذي قتل "**ماري جيرارد**"؟ فقال "**بيتر لورد**" في حنق:

– هذا هو الموضوع.. إذا لم تكن قد قتلتها فمن الذي فعل ذلك..؟ عندنا الشاي.. ولكن كلا من الممرضة "**هوبكنز**" و"**ماري**" شربتا منه.. سيحاول الدفاع أن يوحي بأن "**ماري جيرارد**" تناولت هي نفسها "**المورفين**" بعد أن خرجت الاثنتان الأخريان من الغرفة.. وأنها في الواقع قد انتحرت.

– هل هناك أي سبب يدعوها للانتحار؟

– لا شيء على الإطلاق.

– هل هي من النوع الذي يقدم على الانتحار؟

– لا. فقال "**بوارو**":

– صف لي "**ماري جيرارد**". ففكر "**بيتر لورد**" ثم قال:

– حسنًا.. كانت فتاة ظريفة.. نعم.. بالتأكيد.. كانت فتاة ظريفة. وتنهد "**بوارو**" ثم تمتم:

– وهذا الشخص "**رودريك ويلمان**".. هل وقع في غرام "**ماري جيرارد**"؛ لأنها فتاة ظريفة؟ وابتسم "**بيتر لورد**" وقال:

– أوه! لقد عرفت ما ترمي إليه.. لقد كانت جميلة.

– وأنت نفسك.. ألا تشعر نحوها بشيء؟

– يا لله! نعم. وتمعن "**بوارو**" في ذلك الرد فترة، ثم قال:

– يقول "**رودريك ويلمان**" إن صلة عاطفية كانت بينه وبين "**اليانور كارليسل**".. ولكن لا شيء أكثر من ذلك.. فهل توافق على هذا الزعم؟

– كيف لي أن أعلم؟ فهزَّ "**بوارو**" رأسه، وقال:

– لقد ذكرت لي عندما دخلت هذه الغرفة أن "**اليانور كارليسل**" ذات ذوق سيئ، حتى أنها أحبت حمارا ذا أنف كبير.. هذا على ما أظن كان وصفك لـ"**رودريك ويلمان**".. ومعنى هذا... أنها تهتم به جدًّا. فقال "**بيتر لورد**":

– إنها تهتم به جداً. فقال "**بوارو**":

– إذن كان هناك دافع. فاستدار "**بيتر لورد**" وقد ملأ الغضب وجهه وقال:

– وماذا في ذلك؟ ربما تكون قد ارتكبت الجريمة.. نعم.. أنا لا أبالي إذا كانت قد فعلت ذلك. فقال "**بوارو**":

– آه!

– ولكني لا أود أن أراها تشنق.. دعني أقل لك هذا.. هب أنها فعلت ذلك في حالة يأس؛ فالحب يولد اليأس أحيانا.. لنفرض أنها فعلت ذلك أليست لديك أية رحمة؟ فقال "**بوارو**":

– أنا لا أوافق على القتل؛ فقد سممت "**ماري جيرارد**" بـ"**المورفين**" ولابد أنها تناولته في "**السندوتش**"، ولم يلمس أحد تلك الشطائر غير "**اليانور كارليسل**"، وكان لدى الأخيرة الدافع لقتل "**ماري جيرارد**"، هي في رأيك قادرة على قتل "**ماري جيرارد**"، ومن المحتمل جدًّا أن تكون قد قتلت "**ماري جيرارد**"، ولا أرى أي سبب يدفعني إلى أن أصدق غير ذلك.

هذا وجه واحد من وجوه المسألة والآن ننتقل إلى الوجه الآخر، ونبحث الموضوع من الزاوية المضادة.. إذا لم تكن "**اليانور كارليسل**" قد قتلت "**ماري**

جيرارد" .. فمن الذي فعل ذلك؟ هل "**ماري جيرارد**" انتحرت؟

واستقام "**بيتر لورد**" في جلسته وبان التقطيب في جبهته، وقال:

– لم تكن دقيقا جداً الآن.

– أنا؟ غير دقيق؟!

– قلت: إنه ليس هناك شخص آخر لمس تلك الشطائر غير "**اليانور كارليسل**" .. أنت لا تعرف ذلك.

– لم يكن هناك أحد في المنزل غيرها.

– هذا على حسب ما تعلم، ولكنك تستبعد فترة قصيرة من الزمن.. هي الفترة التي غادرت فيها "**اليانور كارليسل**" المنزل وذهبت إلى الكوخ. وفي خلال تلك الفترة من الزمن كانت الشطائر على طبق في المطبخ، وكان في إمكان أي شخص أن يفعل بها ما يشاء. وجذب "**بوارو**" نفسا عميقا وقال:

– أنت مصيب يا صديقي.. وأنا أعترف بذلك.. كانت هناك فترة من الزمن يستطيع خلالها أي فرد أن يجد سبيله إلى طبق "**السندويتشات**"، وعلينا أن نكون فكرة عمن قد يكون هذا الشخص. وصمت.. ثم قال:

– دعنا نفحص "**ماري جيرارد**" هذه.. شخص ما – غير "**اليانور كارليسل**" – يرغب في موتها.. لماذا؟ هل يستفيد شخص ما من موتها؟ هل لديها مال تتركه بعدها؟

فهز "**بيتر**" رأسه وقال:

– ليس الآن.. بعد شهر آخر كانت ستتسلم ألفين من الجنيهات، وكانت "**اليانور كارليسل**" قد قررت لها هذا المبلغ؛ لأنها اعتقدت أن عمتها كانت ترغب في ذلك.. ولكن لم يتم تصفية تركة السيدة العجوز بعد. فقال "**بوارو**":

– إذن يمكننا استبعاد المادة.. أنت تقول: إن "**ماري جيرارد**" كانت جميلة..

والجمال له مضاعفات.. هل كان لها معجبون؟

– من المحتمل... ولكنني لا أعرف الشيء الكثير عن ذلك.

– من إذن يعرف؟ فابتسم "**بيتر لورد**" وقال:

– لابد أن أقدمك إذن إلى الممرضة "**هوبكنز**"، فهي تعرف كل شيء يحدث في "**ميدنز فورد**".

– كنت سأسألك عن انطباعاتك بالنسبة إلى الممرضتين.

– حسنًا.. الممرضة "**أوبريان**" أيرلندية.. ممرضة جيدة، ساذجة قليلاً.. يمكن أن تكون ذات لسان مقذع، كاذبة قليلاً من النوع الذي يهيم في دنيا الخيال.

فأومأ "**بوارو**" برأسه... بينما أردف "**لورد**" قائلا:

– أما الممرضة "**هوبكنز**" فهي عاقلة،ذكية، متوسطة العمر، طيبة جدًّا.. ولكنها تهتم أكثر من اللازم بشؤون غيرها.

– إذن كانت هناك بعض المشاكل بسبب شاب في القرية، هل كانت الممرضة "**هوبكنز**" تعرف ذلك؟

– لك أن تراهن على ذلك. ثم أضاف في بطء:

– وعلى كل حال فأنا لا أرى شيئا واضحا في هذا النوع من التفكير.. فـ"**ماري**" لم تمكث في القرية طويلا؛ إذ كانت في "**ألمانيا**" طوال العامين الماضيين.

– أكان عمرها واحداً وعشرين عاما؟

– نعم.

– ربما تكون هناك بعض التعقيدات الألمانية. فانبسط وجه "**بيتر لورد**" وقال له في لهفة:

– أتعني أنه ربما يكون هناك شخص ألماني كان ناقما عليها؟ ربما يكون قد تبعها إلى هنا وانتظر حتى جاء الوقت المناسب.. وأخيرا حقق هدفه؟ فقال

"**بوارو**" في شك:

– هذا مبالغ فيه قليلا.

– ولكنه ممكن.

– إنه ليس محتملا. فقال "**بيتر لورد**":

– أنا لا أوافقك.. ربما يكون هناك شخص قد أحب الفتاة، وغضب بشدة عندما أعرضت عنه، وربما يكون قد تصور أنها قد عاملته معاملة سيئة.. إنها مجرد فكرة.

– إنها فكرة.. نعم. قالها بصوت لا يشجع. فقال "**بيتر لورد**" بصوت فيه نبرة توسل:

– استمر يا سيد "**بوارو**". فقال "**بوارو**":

– أرى أنك تريد مني أن أكون مثل الحاوي أخرج من القبعة الخاوية أرنبًا بعد أرنب.

– يمكنك أن تقول ذلك إذا أحببت. فقال "**بوارو**":

– هناك احتمال آخر.

– استمر.

– لقد أخذ شخص ما أنبوبة "**المورفين**" من حقيبة الممرضة "**هوبكنز**" في تلك الليلة من شهر تموز (يوليو).. فلنفترض أن "**ماري جيرارد**" رأت الشخص الذي فعل ذلك.

– أكانت ستعلن ذلك؟

– كلا.. كلا.. يا عزيزي كن معقولا، إذا كانت "**اليانور كارليسل**" أو "**رودريك ويلمان**" أو الممرضة "**أوبريان**" أو أي واحد من الخدم قد فتح الحقيبة، وأخذ منها أنبوبة صغيرة فما الذي يدور بخلد "**ماري جيرارد**" التي رأت ذلك؟

ببساطة سيدور بخلدها أن الشخص المذكور قد أرسلته الممرضة ليحضر شيئًا من الحقيبة .. وسيزول الموضوع من ذهن "**ماري جيرارد**" .. ولكن من المحتمل .. أنه بعد ذلك .. ربما تتذكر تلك الواقعة، وربما تذكرها بطريقة عرضية إلى الشخص موضوع حديثنا .. بدون أن يكون لديها أي شك فيه .. فإذا كان هذا الشخص هو المذنب في جريمة قتل السيدة "**ويلمان**" فلك أن تتخيل نتيجة ذلك التصريح .. لقد رأته "**ماري**" .. وعلى ذلك يا صديقي، إن أي شخص يرتكب جريمة قتل من السهل عليه ارتكاب جريمة أخرى. فقال "**بيتر**" وهو مقطب الجبين:

– لقد كنت على يقين – طوال الوقت – أن السيدة "**ويلمان**" نفسها أخذت "**المورفين**" وانتحرت به .

– ولكنها كانت مشلولة .. عاجزة .. وكانت قد أصيبت توا بنوبة ثانية .

– أنا أعرف .. وكانت فكرتي أنها حصلت على "**المورفين**" بأية طريقة .. وأنها حفظته في مكان أمين بجوارها .

– ولكنها في هذه الحالة تكون قد حصلت على "**المورفين**" قبل إصابتها بالنوبة الثانية ولكن الممرضة افتقدته بعد ذلك .

– ربما تكون الممرضة "**هوبكنز**" قد اكتشفت فقد "**المورفين**" في ذلك الصباح فقط، في حين يكون قد أخذ قبل ذلك بيومين .. قبل أن تلاحظ ذلك .

– ولكن كيف يمكن أن تأخذه العجوز ؟

– أنا لا أعرف .. ربما تكون قد رشت خادمة .. فإذا كان الأمر كذلك فإن تلك الخادمة لن تتكلم إطلاقا .

– هل تظن أن إحدى الممرضتين يمكن رشوتها ؟ فهز رأسه نافيا وقال :

– كلا .. مطلقا .. فهما شديدتان جدًّا ومتمسكتان بتقاليد المهنة .. أضف إلى ذلك أنهما تخشيان الإقدام على عمل كهذا، وتعرفان الخطر الذي يترتب

عليه. فقال "**بوارو**":

– هذا صحيح. ثم أضاف في تفكير:

– يبدو أننا ندور في حلقة مفرغة.. من الذي يحتمل أن يكون قد أخذ تلك الأنبوبة من "**المورفين**"؟ هل هي "**اليانور كارليسل**"؟ قد تقول إنها رغبت في أن تتعجل وراثتها لثروة كبيرة.. وقد نقول ونحن أكثر كرما: إنها أخذت "**المورفين**" وقدمته لعمتها بدافع الرحمة تلبية لرجاء عمتها المتكرر... ولكنها تكون عندئذ هي التي أخذته.. وإن "**ماري جيرارد**" شهدتها وهي تفعل ذلك.

وهكذا ترى أننا نعود مرة أخرى إلي "**السندويتشات**" وإلى المنزل الخالي، ونجد مرة أخرى "**اليانور كارليسل**".. ولكننا في هذه المرة نجد أن لها دافعا آخر مختلفاً.. وهو إنقاذ رقبتها. فصاح "**بيتر لورد**":

– هذا محض خيال.. إنها ليست هذا النوع من الناس.. إنها لا تُعنى بالمال. وأيضا "**رودريك ويلمان**".. وهذا ما أعترف به، فلقد سمعتهما يقولان هذا.

– هل لها أقارب.. أعني "**اليانور كارليسل**"؟ أخوات، أو أبناء عم.. أب أو أم؟

– لا، إنها يتيمة.. وحيدة في هذا العالم.

– إن هذا يبدو مؤلما وأنا واثق بأن "**بولمر**" سيستغل ذلك إلى أبعد مدى. ومن إذن يرث أموالها إذا ماتت؟

– لا أعرف.. إنني لم أفكر في ذلك. فقال "**بوارو**" مؤنبا:

– يجب على المرء أن يفكر دائما في هذه الأشياء.. فمثلا.. هل كتبت وصيتها؟

واحمرّ وجه "**بيتر لورد**" وقال:

– أنا.. أنا لا أعرف. فنظر "**بوارو**" إلى سقف الغرفة ووضع أصابع يديه بعضها على بعض، ثم قال:

– أنت تعرف أنه من الأفضل أن تقول لي.

– أقول لك ماذا؟

– ما الذي يدور في ذهنك بالضبط؟

– وكيف عرفت؟

– نعم.. نعم.. أنا أعرف أن هناك شيئًا.. حادثة ما في ذهنك.

– إنها حادثة تافهة.

– لعلها كذلك.. ولكن دعني أسمع ما هي.

وفي بطء سمح "**بيتر لورد**" لنفسه أن يذكر القصة، قصة ذلك المنظر عندما شاهد "**اليانور**" عند نافذة كوخ الممرضة "**هوبكنز**" وهي تضحك ملء شدقيها، فقال "**بوارو**":

– قالت هذا «إذن أنت تكتبين وصيتك يا "**ماري**".. هذا أمر غريب.. أمر غريب جدًّا».. وكان واضحًا جدًّا في ذهنك ماذا يدور في خلدها.. تصورت أنها كان تفكر في أن "**ماري جيرارد**" لن تعيش طويلا. فقال "**بيتر لورد**":

– إنني فقط تصورت هذا.. أنا لا أعرف.

- 9 -

رافق الدكتور "**لورد**" السيد "**بوارو**" إلى كوخ الممرضة "**هوبكنز**" حيث قدمه لها، ثم بنظرة من "**بوارو**" استأذن في الانصراف، وتركهما منفردين وجها لوجه. وتطلعت الممرضة شزرا إلى ذلك الغريب، ثم قالت:

– لقد كانت "**ماري**" من أجمل الفتيات اللاتي رأيتهن في حياتي، وكانت جديرة بإعجاب السيدة "**ويلمان**" بها؛ ذلك الإعجاب الذي فاق كل وصف.

– هل اعتادت السيدة "**اليانور**" أن تزور عمتها من وقت لآخر؟

– عندما كان يروق لها.

– يخيل إليّ أنك لا تحبينها؟

– أحبها؟ هل أحب مجنونة.. قاتلة؟

– إذن فقد جزمت بأنها القاتلة؟

– من سواها؟ هل أنا الذي قتلت "**ماري جيرارد**" المسكينة بالسم؟

– لا داعي للهياج والانفعال. فقد أردت أن أقول: إن الإدانة لم تثبت وإنها لم تحاكم بعد.

– جريمتها لا تحتاج إلى دليل، ولن أنسى كيف صعدت بي واحتجزتني ما استطاعت، فلما هبطت الدرج وجدت "**ماري**" مسمومة، وشاهدت علامات الإجرام مرتسمة على وجه القاتلة القاسية.

– ولم لا تكون "**ماري**" قد انتحرت؟ ربما دست شيئًا في الشاي.

– هذا هراء. ليس ثمة ما يحمل فتاة في ريعان الشباب والأمل على أن تقضي على حياتها بنفسها.

– قد تكون أخفقت في حبها.

– لم تكن "**ماري**" من هذا النوع، ولم نسمع بالمحبين ينتحرون إلا عندما يعارضهم آباؤهم، أو تقف عائلاتهم كعقبة كئود في سبيل سعادتهم.

– أليس لها معجبون؟

– إنها فتاة هادئة، وليست من هؤلاء اللائي يفضن بالنداء الجنسي. ولم أعرف معجبا بها سوى "**تيد بيجلاند**" ولكنها لم تشجعه؛ لأنه كان أدنى منها مرتبة وتعليما.

– ألم يغضبه هذا؟

– لقد تألم ولكنه كان ينحي عليّ باللائمة؛ لأنه كان يعرف جيدا أنني

نصحتها بالتعالي عن التفكير في شاب بسيط مثله.

– وماذا حملك على التحمس للفتاة بهذا القدر؟

– كل ما فيها كان يبعث على حبها.

– ولكن كيف تتعالى وهي ابنة حارس بيت وتقيم في كوخ؟

– كلا. كلا. لم تكن ابنته بل ابنة أحد السادة.

– وأمها؟ فترددت وعضت شفتيها ثم قالت:

– كانت أمها وصيفة للسيدة "**ويلمان**"، وقد تزوجت "**جيرارد**" بعد أن ولدت "**ماري**". كم في الدنيا من المآسي! فتنهد "**بوارو**" كأنما يشاطرها أساها بينما استطردت قائلة كأنما روعت فجأة:

– ولكن ما كان يجدر أن أتحدث هكذا عن الموتى.

– أظنك تعرفين والدها كذلك؟

– في وسعي أن أطمئن؛ لأن للخطايا القديمة ظلالاً طويلة كما يقولون، ولكنني أؤثر عدم الخوض في سيرة من انتقلوا إلى العالم الآخر.

– هناك مسألة أريد أن أعتمد فيها على نظرتك الصائبة للأمور، وحكمتك في الحكم على الأشياء: هل صحيح أن السيد "**رودريك**" كان مفتونا بـ"**ماري جيرارد**"؟ وغر المرأة ذلك المديح فقالت:

– لقد جن بها، خصوصًا وأن حبه لخطيبته "**اليانور**" كان – في الحقيقة – فاترا باردا.

– وهل شجعته "**ماري جيرارد**"؟

– كلا. كلا. على الإطلاق. لا شك في أن "**ماري**" تكره العجلة، وقد نبهته إلى أن له خطيبة.

– وما رأيك الخاص في السيد "**رودريك ويلمان**"؟

– إنه ظريف، لطيف، سريع الانفعال أحيانا.

– أكان يحب عمته الراحلة؟

– أعتقد ذلك.

– هل جلس معها كثيرا أثناء اشتداد المرض عليها؟

– لا أظنه دخل حجرتها في المرة الأخيرة. كما أنها لم تسأل عنه، ولم يكن أحد منا يفكر أنها مشرفة على الموت. وهكذا معظم الرجال يجفلون من منظر المرضى، وخصوصاً إذا كانوا يعانون آلاما مبرحة.

– أواثقة بأنه لم يدخل غرفة عمته قبل أن تموت؟

– لم يحدث ذلك، عندما كنت قائمة بعملي إلى أن حلت "**أوبريان**" محلي في الساعة الثالثة صباحا، وربما تكون العمة قد استدعته عندما أشرفت على النهاية.

– ألا يجوز أنه دخل الغرفة أثناء غيابك؟

– أنا لا أترك مريضتي قط.

– ألم تخرجي لغلي ماء، أو تهبطي لداع مهم؟

– الواقع أنني نزلت؛ لأغير الزجاجات وأعيد ملأها بالماء الساخن من المطبخ، ولكني لم أغب أكثر من خمس دقائق، ولو أن السيد "**رودريك**" زارها في تلك الأثناء لقام بذلك بسرعة عجيبة.

– الحق أن الممرضات اللائي على شاكلتك أشبه بملائكة الرحمة.

– شكرا لك يا سيدي. الواقع أن مهمتنا شاقة ونبيلة.

– أهناك شيء آخر تستطيعين الإدلاء به عن "**ماري جيرارد**" ؟

– لا أعرف غير ما قلت.

– أواثقة؟

– لا شيء غير ما سمعته مني.

◆◆◆◆◆

وانصرف "**بوارو**" إلى منزل السيدة "**بيشوب**" المحافظة التي تكره مقابلة الأجانب، ولذلك قابلته مستاءة متقززة وابتدرته قائلة:

- إن البوليس بقبضه على الآنسة "**اليانور**" قد أثبت غباءه وتصديقه الشائعات بسهولة.

- وهل فصم "**رودريك**" خطبته لها؛ لأنه صدق بدوره هذه الشائعات؟

- كلا. إنه يحبها وهي تحبه، ولكن الحية سعت بينهما. هذه الحية الناعمة "**ماري جيرارد**".

- كدت أصدق ما يقال من أن "**ماري جيرارد**" فتاة وادعة!

- إنها ناعمة الملمس فقط، وبهذا اكتسبت حب الكثيرين وفي مقدمتهم سيدتي المسكينة الراحلة والممرضة "**هوبكنز**". يجب أن يخرس صوت "**ماري**" بأي ثمن.. وإنني أؤكد لك أنه بلغ من دهائها أن حملت السيدة "**ويلمان**" على تعهدها دائما، والإنفاق على تعليمها هنا وفي الخارج بأبهظ النفقات.. وجعلت منها "سيدة" فوق مرتبتها، ثم ما لبثت أن أوقعت السيد "**رودريك**" الطيب القلب في حبائلها.

- ألم يكن لها معجبون من طبقتها؟

- بلى.. فقد أغرم بها "**تيد بيجلاند**"، ولكنها شمخت عليه بأنفها.

- ألم يثر لهذه المعاملة منها؟

- بلى، واتهمها بإغراء السيد "**رودي**".. أنا لا ألوم الشباب.

- ولا أنا.. أهنئك يا سيدة "**بيشوب**" بقدرتك على الإيضاح والإيجاز.. لقد أعطيتني صورة واضحة لـ"**ماري جيرارد**"..

- أحب أن تعلم أنني لا أقصد تجريحها وهي في قبرها، ولكن لا شك في أنها سببت قدرا كبيرا من العناء والمتاعب، ومن رحمة الله أن ماتت السيدة "**ويلمان**" قبل أن تكتب كل ما تملكه لهذه الفتاة.

– ألا ترين أن وفاة هذه الفتاة كانت في ظروف غاية في الغموض؟

– البوليس هو الذي خلق هذا الغموض، وجر الآنسة "**اليانور**" إلى هذه التهمة الطائشة، بل لقد حاول البوليس إشراكي في الأمر بدعوى أنني قلت: إن سلوك الآنسة "**اليانور**" كان غريبا في الأيام الأخيرة.

– وهل كان سلوكها غريبا حقًّا؟

– وكيف لا يكون وقد فقدت عمتها وخطيبها؟!

– ألا تلومين السيد "**رودريك**" على أنه لم يزر العمة في تلك الليلة؟

– أنت مخطئ يا سيد "**بوارو**"؛ لأنه دخل ورآها؛ فقد كنت على درج السلم عندما سمعت الممرضة تهبط الدرج، ورأيت أن أدخل على المريضة لعلها تحتاج إلى شيء في تلك الأثناء، وخشيت أن تدخل الممرضة في ثرثرة مع الخادمات وتغيب عن المريضة.. وإذ ذاك لمحت السيد "**رودي**" يتسلل إلى غرفة عمته.

– إنك حصيفة ذكية فماذا ترين في موت "**ماري جيرارد**"..؟ وهل تعتقدين أنها انتحرت..؟

– أتنتحر فتاة ورثت وقررت أن تتزوج السيد "**رودي**"؟! كلا. كلا.. أقص هذا من مخيلتك.

- 10 -

وفي يوم الأحد كان "**تيد بيجلاند**" في مزرعة والده عندما قدم إليه "**بوارو**" نفسه، ولم يجد عناء في حمل الشاب على الكلام بل بادره هذا متحمسا وقال:

– ثق يا سيدي بأن الآنسة "**اليانور**" لا تلجأ إلى العنف فما بالك بالجريمة؟ إن طبيعتها غير ما يظنه رجال البوليس.

– ألا يصح أن تدفعها الغيرة إلى ذلك؟

– الغيرة! إن بعض الجرائم وليدة الغيرة كما أعلم، ولكن القاتل لا يقدم على

جريمته إلا إذا كان قد امتلأ قلبه بالحقد أو أعماه الشراب. أما الآنسة "**اليانور**" فسيدة هادئة وادعة.

– ومن قتل "**ماري جيرارد**" إذن؟

– لا أعتقد أن إنسانا كان يحقد على هذه الزهرة اليانعة.

– أكنت تريد زواجها ؟

– نعم ولكنها.. تغيرت بعد أن تلقت قسطا كبيرا من التعليم أذهلها.. وليس معنى هذا أنها كانت فظة معي بل كانت طيبة، واكتفت بأن تجعلني أفهم أني لم أعد أهلا لها، وإن كنت أظن أنها ليست أهلا كذلك لسيد حقيقي مثل السيد "**رودريك ويلمان**".

– أتكره السيد "**رودريك**"؟

– كلا، ولكني تألمت لحومه حول "**ماري**" على الرغم من أنها ليست من طبقته.

– أين كنت وقت أن ماتت الفتاة؟

– في حظيرة السيارات حيث كنت أفحص سيارة وقد جربتها قليلا في ذلك الصباح المشرق العليل الهواء.

– أكانت السيدة "**بيشوب**" مديرة "**هنتربري**" تكره "**ماري**"؟

– كانت تحقد عليها لمكانتها عند السيدة "**ويلمان**".

– وهل كانت المرضة "**هوبكنز**" تحبها؟

– لا شك في أن هذه الممرضة الثرثارة كانت تعطف على الفتاة، ولكنها كانت تحضها على العمل على كسب معاشها بممارسة التدليك.

– يخيل إليّ أن هذه الثرثارة لم تفض بكل ما تعلمه عن "**ماري جيرارد**" ولم تلق ضوءا على مقتلها.

◆◆◆◆◆

تطلع "**بوارو**" باهتمام إلى وجه "**رودريك ويلمان**"، وبرثاء إلى حالته العصبية ونظراته الحائرة، وتأمل الفتى البطاقة قليلا ثم قال:

– لقد سمعت عنك كثيرا يا سيد "**بوارو**"، ولكنني لا أرى ما يعتقده الدكتور "**لورد**" من أنك تستطيع أن تفعل شيئا في هذه المأساة، بل ولا أدري ما دخله في هذا الشأن بعد أن انتهت مهمته من عيادة عمتي وأصبح غريبا هنا.

فأجابه "**بوارو**" في هدوء:

– قد لا يسيئك أن تعلم أنني أحاول أن أقدم معونتي إلى الآنسة "**اليانور**" في محنتها.

– كلا.. كلا.. ولكن...

– أتريد أن تقول: ولكن ماذا في وسعي أن أعمله؟

– قد يبدو في هذا التصرف خشونة مني ولكنه الواقع.

– قد أكتشف حقائق تدرأ عنها الاتهام.

– حبذا لو استطعت! أتوسل إليك أن تفعل.

– عليك فقط أن تساعدني بأن تخبرني برأيك في كل هذه المأساة. فقام "**رودي**" بذرع الغرفة في قلق واضح ثم قال:

– ماذا أقول وأنا لا أستطيع تصور "**اليانور**" مجرمة قاتلة؟ إنها مخلوقة دمثة هادئة، ذكية، شديدة الحساسية، مرهفة الحس، خالية من الغرائز الحيوانية، ولكنني لا أستطيع كذلك إدانة الممرضة؛ لأنها لم تقترب من "**السندوتش**" ولم تكن تستطيع تسميم الفتاة دون أن تتسمم بدورها، ولأنها ليس لديها ما يدفعها إلى قتل الفتاة.

– هذا ينطبق تماما على الحقائق التي جمعتها، ولكن هل صحيح ما يشاع من أنك كنت معجبا بالقتيلة؟

– نعم.. بل لقد أحببتها وقد حطم قلبي موتها.. ولكني في الواقع.. لا

أدري بالضبط حقيقة مشاعري؛ إذ يخيل إليّ أنني كنت في حلم.. صحوت منه.

– ألم تكن في "**إنجلترا**" عندما ماتت؟

– نعم.. رحلت إلى الخارج في 9 تموز (يوليو) ثم عدت في أول آب (أغسطس) عندما تبعتني برقية "**اليانور**" من مكان إلى آخر، فأسرعت راجعا بمجرد أن تلقيت الأنباء.. وكانت صدمة شديدة في الواقع.

– هي الحياة، لا تهادن ولا تدع الإنسان يهيئ أموره وفق مشيئته وبالطريقة التي يراها!

– ورفه عني أنني لا أعرف الكثير عن القتيلة، وأن افتتاني بها كان نزوة عابرة أو حلما لم يطل.

– هل أزعجك الخطاب الذي تلقته "**اليانور**" غفلا من الإمضاء؟ هل كان ينذر بضياع ميراث العمة؟

– ليس للمال عندي هذه الأهمية التي تتصورها.

– هذا عزوف عجيب عن الدنيا..!!

– هذا لا يعني أنني لا أبالي مطلقا بالأمور المادية، ولكنني وجدتها فرصة للاطمئنان على العمة فجئت و"**اليانور**".

– وماتت العمة في الليلة التي كانت تزمع فيها كتابة وصيتها بمجرد وصول المحامي.

– اصغ إليّ يا سيد "**بوارو**"، ماذا تريد أن تقول؟

– لقد حذر الخطاب "**اليانور**" من خطر ضياع الميراث أو بعضه.. وفي الردهة بالطابق الأول كانت حقيبة الممرضة "**هوبكنز**" وبداخلها مواد كيميائية وعقاقير من بينها أنبوبة "**المورفين**"، وحدث – كما علمت – أن جلست "**اليانور**" وحدها مع عمتها، بينما كنت أنت والممرضتان تتناولون العشاء.

– يا لله يا سيد "**بوارو**"! أتعني أن "**اليانور**" قتلت عمتها؟ يا له من ظن يثير العجب والسخرية!

– ألم تعلم أن المحقق طلب تشريح جثة العمة بدافع من هذا الشك؟

– بلى أعلم، ولكنهم لن يجدوا شيئا يؤيد سخافة هذا التفكير من المحقق.

– وإذا وجدوا.. فرضا؟

– كنت أظنك هنا لمساعدة "**اليانور**"؟

– هذا لا يمنع من مواجهة الحقائق يا سيد "**رودريك**"، حاول أن تفكر وأن تعترف بأن "**اليانور**" كانت لديها الفرصة السانحة.

– ولماذا لا تكون إحدى الممرضتين هي الآثمة؟

– ولكن "**هوبكنز**" كانت شديدة القلق؛ بسبب اختفاء الأنبوبة ولم تكتم خبر اختفائها، ولو كانت القاتلة لأسدلت على اختفائها الستار حتى لا توجه إليها الشكوك، وكذلك الحال مع "**أوبريان**" ثم أي دافع لهما على ارتكاب جريمة؟ إنهما لا تستفيدان منها على الإطلاق! فهز الشاب رأسه وقال:

– هذا حقيقي مع الأسف.

– إذن بقي أنت. فروع "**رودي**" وصاح كالجواد الثائر:

– أنا؟!

– نعم.. كان في وسعك أن تأخذ الأنبوبة وأن تعطيها للسيدة "**ويلمان**"، ولكن كتابة الوصية كان معناها بلا شك أن تمنحك العمة جزءاً من ثروتها ثم جاء موتها ضررا لك.. وهذا وحده الذي يبرئ ساحتك. واسترد الشاب أنفاسه اللاهثة واستطرد "**بوارو**" قائلاً:

– هناك شخصان يستفيدان من موت العمة: "**اليانور**"، وكاتب الخطاب الغفل من الإمضاء.. وهو شخص يكره "**ماري جيرارد**" ويعمل لمصلحتك، ولا يريد فائدة لـ"**ماري**" من وراء موت العمة، ألديك فكرة عن كاتب هذا الخطاب؟

– إنه شخص غير متعلم.

– قد يكون العكس، وإنه أراد فقط أن يخفي حقيقته بكتابته العرجاء في الأسلوب والهجاء.. ألا تكون السيدة "**بيشوب**" هي كاتبته؟

– لا أظن.. إنها وقور وخطها جميل ولا تقدم على هذا.. ولكن لماذا لا تكون عمتي قد انتحرت بعد أن كرهت مرضها وعجزها عن الحراك؟

– لم يكن في وسعها النهوض من فراشها والهبوط إلى الطابق الأول وتناول الأنبوبة من حقيبة الممرضة.

– ولماذا لا تكون إحدى الممرضتين قد عاونتها على ذلك؟

– لأن هذا يضعها في خطر.

– إذن فهو شخص آخر قد يكون...

– تكلم.. تكلم.. متى قالت لك "**اليانور**" ذلك؟

– يا لك من ساحر! كنا عائدين في القطار بعد أن تلقينا برقية بأن العمة أصيبت بالفالج للمرة الثانية.. وكانت "**اليانور**" شديدة الحزن على عمتها، وراحت تتحدث عن كراهية المريضة لقعودها في الفراش، وقد قالت "**اليانور**": إن الأولى لكثير من المرضى أن ينقذوا من آلامهم وأن ينعموا بالراحة التي ينشدونها.

– وماذا قلت أنت؟

– وافقتها على رأيها؛ لأنه خير ما يجب أن تعمله المدنية.

– ألا ترى أن "**اليانور**" ربما قتلت عمتها بدافع من الإشفاق عليها والرغبة في وضع حد لآلامها؟

– نعم.. نعم.. لا أتصور إمكان ذلك.

– هذا ما توقعت أن تقوله.

وفي مكتب المحامي السيد "**سيدون**" قوبل "**بوارو**" بحذر تام إن لم يكن

بالريبة، وعدم الطمأنينة، وخاطبه المحامي قائلاً:

– اسمك ليس غريبا عليّ يا سيد "**بوارو**"، ولكنني لا أدري ما مكانك من هذه القضية.

– إنما أعمل بدعوة من موكلي الدكتور "**لورد**".

– لا أظننا في حاجة إلى أية معاونة خارجية يا سيدي.

– أهذا لأن براءة الآنسة "**اليانور**" غاية في السهولة؟ فطرفت عينا المحامي، وقال:

– يخيل إليّ أنك تعرف الكثير عن هذه القضية.

– نعم يا سيد "**سيدون**"، وقد طلب إليَّ السيد "**روديك**" أن أعاون في اكتشاف الحقائق التي قد تدرأ عن "**اليانور**" هذا الاتهام، وأطمئنك إلى أنني لن أشاركك في الأتعاب التي قدرتها لنفسك من وراء الاضطلاع بهذه القضية. فأشرقت أسارير المحامي وقال:

– الواقع كذلك أنني مهتم بهذه القضية؛ لأنني شعرت بأن واجب الوفاء للسيدة "**ويلمان**" يقتضي الدفاع عن ابنة أخيها، وإن كنت لم أعتد أن أزج بنفسي في القضايا الجنائية.

– ثق يا سيدي بأن المتهمة في حاجة إلى أكثر من طلاقة لسانك وقوتك المعهودة في الفصاحة والخطابة والمرافعة.

– هذه حقيقتي يا سيد "**بوارو**"، وبماذا تنصح؟

– بأن تجيبني عن أسئلتي بصراحة.

– لا أستطيع أن أتعهد بالرد على كل سؤال؛ لأن بعض الردود يستلزم أن أحصل أولا على موافقة موكلتي.

– هل لموكلتك الآنسة "**اليانور**" أعداء؟

– كلا.. بقدر ما أعلم.

– ألم تكتب الراحلة السيدة "**ويلمان**" أية وصية في حياتها؟

– نعم.

– هل كتبت "**اليانور**" وصية لنفسها؟

– نعم.. حديثا.. بعد وفاة عمتها.

– لمن تركت ما تملكه؟

– هذا سر خاص لا أستطيع البوح به قبل أن أرجع أولا لموكلتي.

– سأتولى بنفسي مقابلتها.

– قد تجد صعوبة كبيرة في ذلك يا سيدي.

– كل شيء سهل ميسر لدى "**بوارو**".

- 11 -

– هل عثرت على شيء يا سيد "**بوارو**"؟

– لقد قتلت "**اليانور**" "**ماري جيرارد**" بدافع الغيرة، كما قتلت عمتها لترث أموالها، أو بدافع الشفقة لتريحها من آلامها.. وليس لك يا دكتور سوى أن ترجح أحد هذين الدافعين على الآخر.

– هذا هراء.. وإذا كان من الممكن أن تقدم امرأة على القتل بدافع الشفقة؛ لأن المريض زوجها أو طفلها أو أمها فلست أتصور ذلك إذا كانت المريضة عمة لها مهما كانت تحب هذه العمة، ولا تحتمل أن تراها تتعذب وتتلوى من الألم.. ثم لا تنس أن السيدة "**ويلمان**" لم تكن نهبا للآلام، ولكنها كانت تكره المرض، وتكره أن تظل قعيدة الفراش بلا حول ولا قوة. فهز "**بوارو**" رأسه وقال:

– ربما كنت على حق يا دكتور "**لورد**" ولكن.. ألا يجوز أن تكون العجوز قد استطاعت إغراء "**رودريك**" بإنهاء آلامها؟

– نعم.. نعم.. إن هذا الشاب آخر من يقدم على هذه الجريمة خصوصا...

– خصوصا وأنه ليس مولها بحب "**اليانور**" أو العمة حتى يندفع إلى الزج بنفسه في هذا المأزق.

– هو ذلك.

– هذا يجرنا إلى نفس المكان، وهو أن أحدا غير "**اليانور**" لا يستفيد من موت العمة، وأن أحدا لا يكره "**ماري جيرارد**" غير "**اليانور**"، ويبقى سؤال واحد يصح أن نلقيه على أنفسنا وهو: هل هناك من يكره "**اليانور**"؟

– لا أدري، وإن كنت أرى ما ترمي إليه من البحث عن شخص يكون قد دبر ذلك، بحيث تقع التهمة على "**اليانور**" دون غيرها.

– هذا مجرد رأي بعيد الاحتمال، ولا يؤيده سوى ما نراه من تجمع الأدلة كلها على رأس "**اليانور**".

ثم حدَّث الطبيب عن الخطاب الذي تلقته الفتاة غفلا من الإمضاء، وكيف يعني أن الفتاة حذرت من "**ماري جيرارد**" ومن محاولتها الظفر بثروة العمة كلها. فلما طلبت السيدة "**ويلمان**" استدعاء المحامي وجدت "**اليانور**" ضرورة إخماد أنفاسها في تلك الليلة. فصاح "**لورد**":

– و"**رودريك ويلمان**"؟ إنه أيضا كان يخشى أن تضيع الثروة منه أو خطيبته!

– على العكس كان من مصلحته أن تكتب العمة وصيتها؛ لأنه كان واثقا بأنها لن تتركه من غير أن توصي له بشيء من ثروتها الطائلة، فلما ماتت هكذا لم يظفر بشيء كما تعلم. فأمسك الدكتور برأسه وهو يئن قائلاً:

– دائمًا يعود الاتهام مرتدا إليها!!

– نعم.. ما لم نعرف الهمس الذي يدور حول "**ماري جيرارد**". ويمنعنا من الوصول إلى حقيقته إيمان الناس بعدم الخوض في مساوئ الموتى.

– أتعني شيئًا يمس سمعتها؟!

– أي شيء!! أي شيء!! أي شيء يسيء إليها وحسب!

– ثق بأنك لن تجد ما يثير أي غبار حولها.

– لا تظنني أحاول أن أثير الأوحال حيث لا أوحال.. كلا يا صديقي، ولكنني أشعر جيدا أن الممرضة "**هوبكنز**" تخفي حقيقة مشاعرها، وأنها تخفي شيئا عن "**ماري**" لا تحب أن تلوكه الألسنة ولا تريد أن أهتدي إليه، لأنه لا صلة له بالجريمة.. والذي يهمني – يا دكتور – هو أن أعرف كل شيء؛ لعل شيئا يهديني إلى ظلم وقع من "**ماري**" على شخص آخر ويكون الدافع إلى قتلها.

◆◆◆◆◆

طوت الممرضة "**أوبريان**" رأسها ثم ابتسمت ابتسامة عريضة وهي ترمق "**بوارو**" الجالس أمامها إلى إحدى الموائد عندما قال:

– يسرني أن أقابل من تمتلئ هكذا صحة وحيوية.. ولا شك في أن مرضاك يشفون كلهم.

– قليلات من يمتن من مريضاتي مثل السيدة "**ويلمان**". ثم تنهدت وقالت:

– لقد سمعت أنهم أخرجوا جثتها وشرحوها.

– هذا طعن في شهادة الدكتور "**لورد**" بأنها ماتت ميتة طبيعية، ولا تنسي أنه طبيب العائلة ويخشى أن يسيء إليها.

– ألا يجوز أن تكون السيدة "**ويلمان**" قد انتحرت ؟

– ما كان في استطاعتها وهي راقدة بلا حول ولا قوة أن ترفع إحدى يديها عن الفراش.

– ربما ساعدها إنسان على ذلك.

– أتعني الآنسة "**اليانور**" أو السيد "**رودريك**" أو "**ماري جيرارد**" ؟ إن أحدهم لا يجرؤ على ذلك.

– متى فقدت الممرضة "**هوبكنز**" أنبوبة "**المورفين**" ؟

– في نفس ذلك الصباح.

– ألم يثر فقدها أي قلق في نفسك أو نفسها؟

– حتى عندما تحدثت عن ذلك إليَّ في مقهى "**البلوتيت**" كان رأينا أنها تركتها على الموقد فسقطت في سلة المهملات. ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك.

– وما رأيك الآن؟

– لن يكون لـ"**هوبكنز**" دخل إلا إذا ثبت أن السيدة "**ويلمان**" ماتت بفعل "**المورفين**".

– وهل تشكين في أن "**اليانور**" هي قاتلة "**ماري جيرارد**"؟

– رأيي أنها دون غيرها القاتلة. إنها كانت بجانب العمة وسمعت رغبتها في كتابة الوصية في مصلحة "**ماري جيرارد**". ثم رأيتها بعيني وهي تتطلع إلى "**ماري**" بنظرات تمتلئ بالحقد والكراهية.

– وإذا كانت "**اليانور**" قد قتلت عمتها فماذا دفعها إلى ذلك؟

– المال.. خوفها من أن تكتب لـ"**ماري**" كل ما تملكه.

– هل كانت "**ماري**" على دهاء كبير إلى هذا الحد..؟

– لم تكن الفتاة في حاجة إلى دهاء، ولكنه كان حبا طبيعيا وحنانا غير متكلف أغدقته الفتاة على من علمتها وأنشأتها وأوفدتها إلى الخارج لتتلقى أحسن العلوم والمعارف.

– إنك غاية في العقل والحصافة.

– مالي والتحدث فيما لا شأن لي به.

– يبدو لي أنك اتفقت مع الممرضة زميلتك على كتمان بعض الأشياء. فهزت "**أوبريان**" رأسها وقالت:

– أية فائدة في إثارة الأوحال، وقص قصة قديمة بعد أن عاشت العجوز وماتت محترمة وقورا ؟ كان ذلك منذ زمن بعيد جداً، ولقد كان من رأيي دائما أنه من الصعب على رجل أودعت زوجته مستشفى الأمراض العقلية أن يظل مرتبطا بها طوال حياته دون أن يقوى شيء على فك عقاله سوى الموت.

– نعم من الصعب جداً.

– ومن عجائب المصادفات أن أسمع اسما ثم لا ألبث بعد يومين أن أجده يطرق أذني، وأن أرى صورة "فوتوغرافية" وفي نفس الوقت تكون "**هوبكنز**" تصغي لقصة صاحبة هذه الصورة ترويها مديرة بيت الطبيب!

– أكانت "**ماري جيرارد**" تعلم شيئاً عن هذا..؟

– كلا بالطبع.. لم يفكر أحدنا في التنغيص عليها بذكره دون فائدة.

◆◆◆◆◆

ولم يتردد المفتش "**بيكلي**" في تسهيل مهمة "**بوارو**" لدى مدير "**اسكتلانديارد**"، وسرعان ما سمح له بمقابلة السجينة "**اليانور كارليسل**". وجلست الفتاة في الطرف الآخر للمنضدة وحيدة مع "**بوارو**" إلا من حارس يفصله عنهما جدار من الزجاج. وتبدى للزائر ذكاء الفتاة وكبرياؤها وجمالها الفاتن.. وما لبث أن خاطبها قائلاً:

– أنا "**بوارو**".. أرسلني الدكتور "**بيتر لورد**" اعتقادا منه أنني قد أستطيع مساعدتك. فتمتمت الفتاة:

– "**بيتر لورد**". ثم ابتسمت وقالت:

– هذا فضل منه ومنك، ولكنني أعتقد أنه ليس في وسعك عمل شيء لمصلحتي.

– هل لك أن تجيبيني عن أسئلتي؟

– أتعتقد أولا أنني بريئة؟

– وهل أنت كذلك؟

– أهذا نوع الأسئلة التي جئت تطرحها عليَّ؟ ما أسهلها يا سيدي!!

– لقد قابلت ابن عمك السيد "**رودريك ويلمان**" وهو يبذل كل ما في وسعه لمساعدتك.

– أعرف ذلك. ولمس رقة في صوتها في هذه المرة فسألها:

– أهو غني؟

– إنه مسرف، ولذلك لم يبق لديه إلا القليل، ولكن أحدنا لم يهتم بذلك؛ لأننا كنا نعلم أن يوما ما...

– سوف ترثين عمتك. ثم تأمل عينيها واستطرد يقول:

– أظنك سمعت أن عمتك ماتت بـ"**المورفين**"؟

– أنا لم أقتلها.

– ألم تساعديها على قتل نفسها؟

– نعم.. نعم لم أساعدها.

– ألم تعلمي بأن عمتك كتبت وصية ما من قبل؟

– نعم.. لم أعلم بهذا قط.

– وهل كتبت أنت وصيتك عندما حدثك الدكتور "**لورد**" عنها؟

– نعم..

– ولمن تركت أموالك في وصيتك؟

– لـ"**رودي**".. تركت كل شيء لـ"**رودريك ويلمان**".

– أيعرف ذلك؟

– كلا.

– ألم تتحدثي بذلك إليه قبل كتابة الوصية؟

– نعم.. إطلاقا.. فما كان يرضى بأن أفعل ذلك.. ولا يعرف ما فعلته سوى السيد "**سيدون**" وكتبة مكتبه.

– هل أرسلت خطابك إلى المحامي بالبريد؟

– نعم.

– هل أودعت الخطاب بنفسك صندوق البريد؟

– كلا.. أرسلته مع بقية الخطابات.

– هل تلوت الخطاب أكثر من مرة قبل أن تجزمي رأيك على إرساله؟

– كتبته ثم قرأته، ومضيت إلى المكتبة؛ لأجيء بطوابع البريد ثم قرأته مرة أخرى.

– أكان معك أحد في الغرفة؟

– "**رودي**" فقط.

– هل عرف ما كنت تفعلينه؟

– قلت لك.. كلا.

– هل كان في وسع أحد أن يقرأ الوصية أثناء غيابك في المكتبة لإحضار طابع البريد؟

– لا أدري. إذا كنت تعني أن أحد الخدم دخل إلى الحجرة قبل أن يدخلها "**رودريك**" فقد كان يمكن ذلك.

– ولماذا تستبعدين ذلك على السيد "**رودريك**"؟ فأجابته في صوت مشوب بالاستخفاف:

– أؤكد لك أن "**رودي**" لا يقرأ خطابات الغير بحال:

– أفي ذلك اليوم بالذات خطرت لك فكرة قتل "**ماري**"؟ فاشتعل وجهها بالحنق وقالت:

– أهو الدكتور "**بيتر لورد**" الذي أخبرك بذلك؟

– عندما أطللت من النافذة ورأيتها تكتب وصيتها، ألم تضحكي وتتساءلي: "هل يمكن أن تموت هذه الفتاة؟" .

– وهل تثق بما أجيبك به؟ ألا تخشى أن أكذب عليك؟

– إن المستمع إلى الأكاذيب يستطيع أن يستنتج منها ما قد لا يستطيع استنتاجه من الأقوال الصادقة. فلنبدأ الآن: لماذا رفضت أن ترافقك السيدة "**بيشوب**" إلى المنزل؟

– رغبة في أن أكون بمفردي؛ لأنني كنت في حاجة إلى التفكير.

– وماذا فعلت بعد ذلك؟

– اشتريت علبة سمك محفوظ، ثم مضيت إلى "**هنتربري**" حيث صعدت إلى حجرة عمتي ونقبت بعض الوقت في أوراقها.

– ألم تعثري بين تلك الأوراق على شيء خاص له سريته؟

– ماذا تعني؟

– استمري إذن وارفضي الإجابة عما لا يروقك من الأسئلة.. ماذا فعلت بعد ذلك؟

– هبطت إلى القبو وأعددت الشطائر.

– وكنت تفكرين في تلك الأثناء في القضاء على "**ماري**". فامتقعت أسارير الفتاة ولكنها لم تبال بالرد عليه واستطردت تقول:

– أعددت الشطائر على الصحفة، ومضيت إلى الكوخ حيث كانت الممرضة "**هوبكنز**" مع "**ماري جيرارد**" فدعوتهما لالتهام بعض الشطائر في المنزل في غرفة الجلوس، وبعد أن أكلنا تركت "**ماري**" بجوار النافذة، وذهبت إلى القبو حيث كانت الممرضة تغسل الصحاف فأعطيتها علبة السمك.

– وهل تغسل علبة السمك؟

– إنها علبة من النوع الجيد التي يحتفظ بها؛ لاستعمالها في حفظ التوابل

وغيرها، ولا تهمل بمجرد تفريغ محتوياتها.

– وماذا حدث بعد ذلك؟ وفيم كنت تفكرين إذ ذاك؟ فقالت كالحالمة:

– كان برسغ الممرضة ندبة أشبه بعلامة أو أثر جرح، وقد أوضحت أن شوكة ورد من إفريز الكوخ قد وخزتها. وطالما تشاحنت مع "**رودي**" في صغرنا؛ بسبب حبه الورد الأبيض وإيثاري الورد الأحمر العطر، وطاف برأسي شبح كراهيتي لـ"**ماري جيرارد**"، ولكنني سرعان ما أقصيته عن خاطري. وشعرت بأنني لم أعد أبغضها فضلا عن أن أتمنى موتها.

– ولكنك ما لبثت أن عدت إلى غرفة الجلوس لتجديها تلفظ أنفاسها الأخيرة.

– أتريد أن تسألني مرة أخرى: هل أنت التي قتلتها؟ فنهض على قدميه بسرعة وقال:

– لن أسألك شيئاً. توجد أشياء لا رغبة لي في معرفتها.

- 12 -

كان الدكتور "**لورد**" في انتظار القطار؛ استجابة لرجاء "**بوارو**" فلما شاهده يهبط ابتدره قائلا:

– لقد بذلت ما في وسعي لأحصل على أجوبة لأسئلتك يا سيد "**بوارو**"؛ فقد ذهبت "**ماري جيرارد**" إلى "**لندن**" في 10 تموز (يوليو)، كما أستطيع أن أرافقك إلى السيدة "**سلاتري**" خادمة سلفي الدكتور "**رانسام**".

– يحسن أن أقابل هذه المرأة أولا.

– لقد قلت إنك تريد أن تذهب إلى "**هنتربري**"، وفي وسعي أن أذهب معك إلى هناك، وإن كنت لا أزال أعجب لعدم ذهابك إلى اليوم باعتبار "**هنتربري**" مكان الحادث.

– يبدو أنك تقرأ كثيرا من القصص البوليسية يا صديقي، ومع ذلك فقد سبقني البوليس إلى هناك، واستجمع الأدلة التي حملته على القبض على "**اليانور**"، ولكنني الآن أجدني في حاجة إلى الذهاب إلى "**هنتربري**" بعد أن عرفت ما يجب أن أبحث عنه.

– إذن فأنت تعتقد أن هناك أشياء فاتت رجال البوليس؟

– ربما.

– أهي في مصلحة "**اليانور**"؟

– لا أدري بعد. صبرا يا عزيزي.

◆◆◆◆◆

وتناولا الغداء بعد ساعتين في منزل الطبيب في غرفة جميلة تطل على الحديقة حيث قال "**لورد**":

– هل اهتديت إلى معرفة ما كنت تريده من العجوز "**سلاتري**"؟

– نعم. وكان حديثنا عن الأيام الخالية؛ لأن كثيرا من الجرائم تنبت جذورها في الماضي، وأظن جريمتنا من هذا النوع.

– الحق أنني لا أفهم كلمة مما تقول يا سيد "**بوارو**"، لماذا تتركني أتخبط في الظلام؟

– لأن الضياء لم ينبثق بعد، ولأنني ما زلت أصطدم بحقيقة لا تتغير، وهي أنه لا يوجد أحد تتوافر لديه الدوافع إلى قتل "**ماري جيرارد**" غير "**اليانور**".

– ولكن "**ماري**" كانت في "**ألمانيا**" فترة طويلة.

– أعرف ذلك، وقد وافتني عيوني بـ"**ألمانيا**" بما يهمني من المعلومات عن هذه الفترة.

– وهل لك عيون؟

– نعم، وأحدهم رجل كان من اللصوص الأشقياء ثم اهتدى، وكانت أول مهمة عهدت بها إليه أن ينقب كل ركن في شقة السيد "**رودريك ويلمان**".

– لماذا؟ هل تعتقد أن الشاب قد كذب عليك في حديثه.

– الواقع أن كل إنسان هنا يحاول الكذب والتمويه حتى أنت.

– يبدو أن عدم تصديق الناس طبيعة في نفسك! تعال بنا إلى "**هنتربري**"؛ لأن لدي مرضى فيها.

– أنا رهين إشارتك يا دكتور.

ومضيا على الأقدام ودخلا من البوابة الخلفية، وفي منتصف الطريق إلى المنزل قابلهما شاب طويل القامة، صبيح الوجه، يدفع عربة صغيرة أمامه، ولما شاهدهما رفع قبعته باحترام فخاطبه "**لورد**" قائلاً:

– طاب صباحك يا "**هرليك**". هذا "**هرليك**" البستاني يا سيد "**بوارو**". لقد كان يعمل هنا في ذلك الصباح.

فقال الشاب:

– نعم يا سيدي وقد شاهدت الآنسة "**اليانور**" في ذلك الصباح وتحدثت إليها. فسأله "**بوارو**":

– ماذا قالت لك؟

– وعدتني بالتوصية عليَّ والتحدث بشأني إلى العقيد "**سمر فيل**" الذي اشترى منها "**هنتربري**".

– هل كانت طبيعية يا "**هرليك**"؟

– نعم. فيما عدا أنها كانت منفعلة بعض الشيء كأنما يحتشد رأسها ببعض الأفكار.

– هل عرفت "**ماري جيرارد**"؟

– بعض الشي يا سيدي. ولقد كان والدها يكره فيها روح التعالي والتسامي

ومبلغ ما حصلته من التعليم الراقي.

– أتستطيع أن ترى المنزل من حديقة القصر؟

– كلا يا سيدي.

– لو أن إنسانا قدم ووثب من نافذة القبو. هل في وسعك أن تراه من حديقتك؟

– كلا... كلا.

– متى ذهبت لتناول الغداء؟

– في الساعة الواحدة يا سيدي.

– ألم ترَ شيئًا.. أي رجل يحوم في المكان، أو أي شيء من هذا القبيل؟ فرفع حاجبيه مشدوها، ثم قال:

– نعم. كانت هناك سيارة خارج البوابة الخلفية. فصاح "**لورد**":

– لم تكن سيارتي، فقد مضيت إلى "**ويزنبري**" في ذلك الصباح، ولم أعد إلا بعد الثانية. فبدا الارتباك على وجه الشاب البستاني، ثم قال:

– لقد كانت سيارتك يا سيدي. وأسرع الطبيب يقول:

– كلا. كلا. طاب يومك يا "**هرليك**".

وظل الشاب يحملق إلى ظهريهما إلى أن اختفيا عن عينيه فعاد يدفع عربته أمامه. وقال الطبيب في هدوء يخفي به انفعاله:

– ترى سيارة من تلك التي كانت واقفة هناك في ذلك الصباح؟ فسأله "**بوارو**":

– ما نوع سيارتك؟

– "**فورد**" خضراء اللون، وأنا واثق بأن تلك السيارة لم تكن سيارتي؛ لسبب مهم وهو أنني كنت في "**ويزنبري**" وعدت متأخرا لألتهم غدائي بسرعة، وما لبثت أن دعيت لإسعاف "**ماري جيرارد**". إذن فقد كان هنا أحد في ذلك

الصبـاح غيـر "**اليـانور**" و"**مـاري**" و"**هوبكنز**" . ولما اقتـربا من المنزل أمـسك الطبيب بذراع "**بوارو**" وقال:

– هذه نافذة القبو التي كانت "**اليانور**" تقطع فيه "**السندويتشات**" . ومن هنا كان في وسع أي إنسان أن يراها. فلنبحث لعل الذي وقف هنا كان يدخن . وانحنى يفحص الأرض ويدفع الأوراق والأغصان جانبا. ثم انتصب قائلاً:

– ها هي علبة ثقاب يا صديقي. فارغة يا لله إنها صناعة أجنبية! علبة ألمانية و"**ماري جيرارد**" قد عادت حديثا من "**ألمانيا**" !

ومضيا إلى المنزل حيث فتح الطبيب الباب الخلفي بالمفتاح وقاد زميله إلى المطبخ، ثم إلى ممر يفضي إلى القبـو، وهناك راحا يتطلعان إلى "الدولاب" والأدوات الخزفية والزجاجية وإلى موقد الغاز وآنية الشاي والقهوة على الرفوف وإلى الحوض، وإلى المنضدة التي أمام النافذة، وقال الدكتور "**لورد**" :

– على هذه المنضدة كانت "**اليانور**" تقطع "**السندويتشات**" ، وتحت الحوض وجدت قصاصة من البطاقة التي كانت حول أنبوبة "**المورفين**" ، ولا شك في أن أحدا كان يرقب الفتاة من الخارج، فلما مضت إلى الكوخ تسلل وفتح الأنبوبة، وسحق بعض "**المورفين**" ووضعه على بعض "**السندويتشات**" دون أن يلحظ أنه قطع جزءاً من البطاقة، وأنها سقطت بعيدا تحت الحوض، وسرعان ما عاد إلى سيارته التي تركها في الخارج.

– تعال ننقب قليلا في أنحاء المنزل.

وأخيرا وقفا في الغرفة التي ماتت فيها "**ماري جيرارد**" بعد أن فتح الطبيب إحدى نوافذها. ثم قال:

– يخيل إليّ أننا في قبر.

– لو تستطيع الجدران أن تتكلم لقصت علينا كيف بدأت المأساة في هذا المنزل.. تعال بنا إلى الكوخ.

ووجدا في الكوخ غرفة مرتبة تعلوها الأتربة ولم يمضيا فيها غير دقائق، أسرعا بعدها إلى الخارج حيث راح "**بوارو**" يتحسس أوراق الورود النامية على الحاجز الخارجي، ثم قال:

– لقد حدثتني "**اليانور**" عن طفولتها حين كانت تلعب هنا مع "**رودريك ويلمان**" ويختلفان أحيانا بسبب تعلقها بالورود الحمراء وشغفه هو بالورود البيضاء وهذا الفارق هو ما بينهما فعلا.

– ماذا تعني؟

– هذا يوضح أخلاق "**اليانور**" وحبها الجارف لشخص لا يقوى على مبادلتها الحب. لنعد الآن يا صديقي إلى الدغل الذي خلف القبو. وهنا قال:

– لا يبعد أن تكون "**ماري جيرارد**" قد عرفت رجلا في "**ألمانيا**" تبعها إلى هنا وقد عقد العزم على قتلها. ولكن انظر بعيني رأسك ما دمت لا تستطيع الرؤية بعين البصيرة! ماذا ترى من هنا يا "**لورد**"؟ نافذة بجوارها فتاة تقطع "**سندوتش**" ولكن كيف عرف الرجل أن هذا "**السندوتش**" سيقدم إلى "**ماري جيرارد**"؟ إن "**اليانور**" وحدها هي التي كانت تعرف ذلك.

– إذن كان الرجل يريد قتل "**اليانور**" نفسها؟

– هذا أقرب إلى العقل والصواب يا عزيزي. ولما طرق "**بوارو**" باب الممرضة "**هوبكنز**" فتحته ووجهها مغطى بالصابون ثم قالت بحدة:

– حسنًا يا سيد "**بوارو**"، ماذا تريد الآن؟

– هل لي أن أدخل؟ فغمغمت حانقة:

– تفضل. ثم قدمت له قدحا من الشاي الأسود كالحبر وهي تقول:

– هذا شاي جميل جدًّا. فمضى يحركه في حذر ثم استجمع شجاعته ورشف منه رشفة، وقال:

– هل خمنت لماذا جئتك الآن؟

– وهل قالوا لك إنني قارئة أفكار؟

– لقد جئت أطلب إليك أن تصارحيني بالحقيقة. فنهضت ثائرة غاضبة وصاحت:

– أنا لم أكذب قط ولا أستطيع الكذب، ولقد تحدثت عن أنبوبة "**المورفين**" بصراحة، ولو كانت غيري في مكاني لأغلقت فمها وأسدلت على ذلك ستارا كثيفا، ولكني لم أعتد الكذب ولم أخفِ شيئًا أعرفه عن موت "**ماري جيرارد**". ومستعدة لحلف أغلظ الأيمان في المحكمة.

ولم يحاول "**بوارو**" أن يقاطعها؛ لأنه كان يعرف كيف يسوس المرأة إذا تملكها الحنق، وأخيرا قال في هدوء:

– أنا لم أقل: إنك أخفيت شيئًا عن الجريمة، ولكنني فقط طلبت إليك أن تحدثيني بالحقيقة، لا عن موت "**ماري جيرارد**"، بل عن حياتها.

– ولكن أي دخل لهذا في الجريمة؟ وأنا لم أكذب قط ولا أستطيع الكذب، لقد تحدثت بما لديّ من معلومات عن حياتها. فقال "**بوارو**":

– وما أدرانا فقد يكون لذلك دخل – من بعيد أو قريب – في مصرعها؟

– لا أدري بالضبط ماذا تعني.

– سأعاودك؛ لقد تحدثت إلى الممرضة "**أوبريان**" والسيدة "**سلاتري**"، التي تذكر جيدا ما حدث منذ عشرين عاما، فعلمت أن حبا نشأ بين السيدة "**ويلمان**" التي كانت إذ ذاك أرملة وبين السيد "**لويس رايكروفت**" الذي كانت زوجته نزيلة مستشفى الأمراض العقلية.

وكان القانون في ذلك الوقت يمنعه من أن يتزوج مرة أخرى ما دامت زوجته على قيد الحياة، كما كانت قوة زوجته البدنية وحالتها على صلة قوية أخفياها عن الكثيرين، ثم مات الرجل في الحرب.

– ثم ماذا؟

– ثم أنجبت علاقتهما طفلة هي "**ماري جيرارد**" .

– ولماذا تسألني ما دمت تعرف كل شيء؟

– برجاء أن أجد عندك الدليل القاطع على ما كنت أخمنه، فأخلدت المرضة دقيقتين إلى الصمت زوت في أثنائهما ما بين حاجبيها. ثم نهضت فجأة إلى درج أخرجت منه ظرفا قدمته إلى "**بوارو**" قائلة:

– سأخبرك كيف وقع بين يدي، فقد ثارت شكوكي عندما وجدت العجوز تغدق على الفتاة عطفا غير عادي، ثم سمعت "**جيرارد**" في مرضه يهذي ويقول إن " **ماري**" ليست ابنته، فلما ماتت الفتاة وذهبت إلى الكوخ لإخلائه عثرت في درج على هذا الخطاب بين أوراق الكهل ورأيتني مدفوعة إلى قراءته.

وقرأ "**بوارو**" على الظرف: «إلى "**ماري**" – يسلم إليها بعد موتي». ورأى الحبر باهتا، فقال:

– هذه الكتابة ليست حديثة. فأجابته الممرضة:

– ليس "**جيرارد**" كاتبه، ولكن زوجته التي ماتت منذ أربعة عشر عامًا، ويبدو أن "**جيرارد**" حفظه بين أوراقه ثم نسيه، أو لم يعن بإعطائه للفتاة بعد موت أمها فلم تقرأه لحسن حظها، وإلا ما استطاعت أن تظل مرفوعة الرأس إلى أن توفيت. وسكتت لحظة ثم استرسلت تقول:

– لقد كان الظرف مغلقا ولكنني سمحت لنفسي بفتحه وتلاوة الخطاب الذي بداخله اعتمادا علي أن أبطال القصة قد ماتوا جميعا. يحسن أن تقرأه بنفسك يا "**بوارو**" . وقرأ "**بوارو**" ما جاء في ذلك الخطاب:

«هذه هي الحقيقة أكتبها لعل الحاجة تدعو يوما إلى معرفتها. لقد كنت وصيفة السيدة "**ويلمان**" في "**هنتربري**" ونعمت بعطفها وحبها سنوات، وقد حدث أن تورطت في محنة تهدد سمعتي وشرفي فوقفت السيدة "**ويلمان**" إلى جانبي وألحقتني بخدمتها، ولكن طفلي مات بعد أيام. وفي تلك الأثناء كانت

سيدتي تحب السيد "**لويس رايكروفت**" ، وكان بدوره يحبها إلى درجة العشق، ولكنه لم يكن يستطيع أن يتزوجها؛ لأن له زوجة في مستشفى الأمراض العقلية. ولما شعرت سيدتي بالجنين ينمو في أحشائها أخذتني معها إلى "**اسكتلندا**" حيث أنجبت طفلتها، وحدث أن كتب إليَّ "**جيرارد**" وهو الرجل الذي غرر بي ليكفر عن إساءته فكان أن عدت إليه وتزوجته، واتفقنا على أن نعيش في الكوخ قريبا من السيدة "**ويلمان**" وأن يعتبر "**ماري**" ابنته وأن ترعاها والدتها السيدة "**ويلمان**" وترعانا بخيرها وكرمها. وهكذا جهلت "**ماري**" الحقيقة المرة وأمسكت لساني عن ذكر القصة لأي إنسان، ولكني أرى من واجبي قبل أن أموت أن أسجل كتابة حقيقة ما حدث»

الإمضاء: "**أليزا رايلي**"

وتنهد "**بوارو**" ثم طوى الخطاب فقالت الممرضة في قلق:

– والآن ماذا تنوي أن تعمل؟ لقد مات أبطال القصة جميعا كما ترى ولا فائدة من نبش قبورهم، خصوصا وقد كان الناس يرمقون السيدة "**ويلمان**" بالإجلال والاحترام، ومن القسوة جر اسمها الآن في الأوحال والأقذار، وكذلك كانت "**ماري**" فتاة دمثة طيبة، ولا يجدر أن يعلم الناس أنها كانت ابنة سفاح. دع – بالله عليك – الموتى هادئين مطمئنين في قبورهم.

– أخشى أن يكون لهذا الوضع دخل في الجريمة.

– لا أظن. لا أظن.

ثم خرج "**بوارو**" من الكوخ والمرأة مشدوهة تحملق إليه في قلق وحيرة، وما إن سار قليلا حتى أحس بوقع أقدام مترددة تتبعه. ولما التفت وراءه رأى البستاني "**هرليك**" بادي الارتباك يعتصر قبعته بين يديه، فسأله:

– ماذا يا "**هرليك**" ؟

– هل أستطيع أن أفضي إليك بكلمة يا سيدي؟

– طبعا. طبعا.

– إن السيارة التي كانت خارج البوابة الخلفية في صباح ذلك اليوم كانت سيارة الدكتور "**لورد**".

– أواثق أنت بهذا؟

– كل الثقة يا سيدي؛ لأني أعرفها جيدا وأحفظ رقمها وهو 2022 .

– ولكن الدكتور ينفي ذلك، ويقول إنه كان في "**ويزنبري**" في ذلك الصباح.

– أقسم لك أن تلك السيارة كانت سيارته.

– شكرا يا "**هرليك**".

- 13 -

لم تدر "**اليانور**" هل كان الطقس شديد الحرارة أو البرودة؛ لأنها كانت جالسة في قفص الاتهام ذاهلة العقل شاردة اللب، زائغة العينين لهول ما ترى وتسمع. وكانت تحس بالرعدة تتمشى في أوصالها على الرغم من العرق المتصبب من جبينها وهي تستمع إلى وكيل النيابة يعود إلى الماضي. من يوم تلقيها الخطاب الغفل من الإمضاء إلى أن قابلها مفتش البوليس، وقال لها:

«لديّ أمر بالقبض عليك يا آنسة "**اليانور كارليسل**" بتهمة قتل "**ماري جيرارد**" بدس السم لها في 27 تموز (يوليو) الماضي. وأحب أن أنبهك إلى أن كل كلمة تنطقين بها سوف تسجل عليك وتجابهين بها يوم المحاكمة».

والآن. ها هي تجلس في قفص الاتهام تنتهبها الأنظار الحانقة الساخطة. وها هم المحلفون يتحاشون النظر إليها كأنما يعلمون أي كلمة هائلة ستنطق بها

ألسنتهم بعد ما سمعوه من قوة الاتهام. ونودي على الدكتور "**لورد**" ؛ ليدلي بشهادته فوقف بوجهه الذي يعلوه الاكتئاب ليجيب في نغمة رتيبة ويقول إنه دعي تليفونيا إلى "**هنتربري**" بعد أن فات الأوان فوجد "**ماري جيرارد**" تلفظ أنفاسها الأخيرة، ثم ما لبثت أن ماتت بعد بضع دقائق، وكان موتها بتأثير "**المورفين**" . وحينئذ وقف المحامي السيد "**أدوين بولمر**" وقال :

– لقد ترددت على "**هنتربري**" مرات في تموز (يوليو) الماضي، وقابلت المتهمة و"**ماري جيرارد**" معا، فكيف كان سلوك المتهمة نحو القتيلة؟

– غاية في الود والائتلاف . فابتسم السيد "**أدوين**" ابتسامة يشوبها الاستخفاف وعاد يسأله :

– ألم تلحظ أي دليل على الكراهية أو الغيرة بين الاثنتين مما تلوكه الألسنة؟

– نعم . إطلاقا .

وتبينت "**اليانور**" مبلغ الكذب المتعمد في الأقوال التي أدلى بها الطبيب الشرعي حين أسهب في شهادته وذكر نوع السم الذي ماتت به "**ماري جيرارد**" ، وكيف تبدو أعراضه على الضحية قبل وبعد أن تعاجله منيته .

وفي اليوم التالي عقدت المحاكمة مرة أخرى ونودي إخصائي التحليل، فتحدث عن محتويات معدة القتيلة وكيف امتزج "**المورفين**" بالخبز والسمك والشاي، وتدل كميته على أنها لا تقل عن أربع قمحات تكفي لقتل أكثر من أربعة أشخاص، وإذ ذاك سأله السيد "**أدوين**" : لقد وجدت في معدة القتيلة خبزًا وزبدا وسمكا وشايا "**مورفين**" فهلا وجدت شيئًا آخر؟

– كلا، وهذا يعني أن القتيلة لم تأكل شيئًا سوى "**السندوتش**" لفترة طويلة .

– أليس هناك دليل على نوع الطعام أو الشراب الذي دس فيه "**المورفين**" ؟

– نعم . ويجوز أيضا أن يكون "**المورفين**" قد ابتلع وحده ثم اختلط في المعدة بمحتوياتها الأخرى .

– ولكن وجوده يقطع بأنه أخذ في نفس الوقت مع الطعام الآخر والشاي والحليب (اللبن) ؟

– هو ذلك يا سيدي .

– شكرا. ثم نودي المفتش "**بريل**" وبعد أن حلف اليمين قال :

– دعيت إلى المنزل، ولما توليت البحث عثرت على قصاصة صغيرة تحت الحوض، أدركت أنها نزعت من أنبوبة "**المورفين**" ، أعني من البطاقة التي حولها .

وتناول المحلفون القصاصة وتفرسوا فيما كتب عليها :

« "**مورفين**" . . نصف قمحة . . » ونهض محامي الدفاع يسأل الشاهد :

– وهل عثرت على بقية البطاقة؟

– كلا . .

– هل عثرت على أنبوبة من الزجاج أو أي قارورة، كانت تلك البطاقة مثبتة عليها؟

– كلا . .

– في أي حالة كانت تلك القصاصة عندما عثرت عليها؟

– كانت نظيفة إلا من بعض الغبار الذي لحق بها من إلقائها على الأرض منذ وقت قصير. ونوديت الممرضة "**هوبكنز**" فوقفت بادية الاعتداد بنفسها غير هيابة أو وجلة، وقالت :

– اسمي "**جيسي هوبكنز**" وأقيم في كوخ في "**هنتربري**" .

– هل أنت ممرضة المنطقة؟

– نعم .

– أين كنت في 28 حزيران (يونيو) الماضي ؟

– في منزل السيدة "**ويلمان**" إذ أصابتها نوبة من الشلل فدعيت لمساعدة الممرضة "**أوبريان**" إلى أن يجدوا ممرضة أخرى مقيمة .

– هل حملت معك حقيبة صغيرة؟ وماذا كان بها؟

– نعم، وكان بها أربطة وضمادات ومحقن تحت الجلد وبعض الأدوية والعقاقير وأنبوبة من "**هيدرو كلوريد المورفين**" .

– ولماذا كنت تحتفظين بهذه الأنبوبة؟

– لمعالجة إحدى المريضات في القرية بإعطائها حقنة في الصباح وأخرى في المساء.

– وماذا كانت تحتوي؟

– عشرين قرصًا يحتوي كل منها على نصف قمحة من "**هيدرو كلوريد المورفين**" .

– وماذا فعلت بحقيبتك؟

– وضعتها في الردهة.

– كان ذلك في مساء 28 حزيران (يونيو) فمتى أتيح لك مشاهدتها مرة أخرى؟

– في الصباح التالي حوالي الساعة التاسعة عندما كنت أهم بمغادرة المنزل.

– هل وجدت شيئًا من محتوياتها مفقودا؟

– نعم.. أنبوبة "**المورفين**" .

– أذكرت ذلك لأحد؟

– تحدثت عن فقدها إلى الممرضة "**أوبريان**" التي كانت ترعى المريضة.

– هل وضعت الحقيبة في ردهة يذرعها الناس جيئة وذهابا؟

– نعم.

– هل كنت تعرفين الفتاة الميتة – "**ماري جيرارد**" – معرفة جيدة؟

– نعم.

– وماذا كان رأيك فيها؟

– كانت فتاة طيبة، ظريفة، حلوة الشمائل.

– هل كانت سعيدة في حياتها؟

– ومشرقة كالوردة المتفتحة.

– ألم تهمها شواغل تعرفينها؟

– نعم.. إطلاقا.

– هل كانت وقت موتها تشعر بتعاسة أو ابتئاس أو تخشى مستقبل أيامها؟

– كلا. لا شيء من هذا القبيل.

– هل كان لديها من الأسباب ما يدفعها إلى الانتحار؟

– كلا.. كلا.. قلت إنها كانت سعيدة مشرقة.

ثم راحت تروي كيف رافقتها إلى الكوخ، وتحدثت عن قدوم "**اليانور**" ودعوتها لهما إلى تناول "**السندوتش**"، وكيف قدمت الصحفة إلى "**ماري**"، ثم كيف اقترحت غسل كل شيء حتى علبة السمك المحفوظ، وكيف اقترحت كذلك على الممرضة "**هوبكنز**" أن تصعد معها لتساعدها في فرز الملابس. وقد قاطعها السيد "**أدوين**" مرارا أثناء هذه الرواية، بينما قالت "**اليانور**" لنفسها: «هذا كله حقيقي.. هذا هو الواقع وإن كان مخيفاً.»

وتطلعت مرة أخرى عبر القاعة فشاهدت "**بوارو**" يتأملها وهو غائص في يم من التفكير، وقد بدت آيات الرثاء والإشفاق على أساريره. وامتدت يد وكيل النيابة إلى الشاهدة بقصاصة الورق ثم سألها:

– أتعرفين ما هذه؟

– هذه قطعة من بطاقة.. بطاقة أنبوبة تحتوي على أقراص "**المورفين**".. كالأنبوبة التي فقدت من حقيبتي.

– أواثقة أنت بذلك؟

– كل الثقة.. هذه منزوعة من أنبوبتي. فقال القاضي:

– كل ما تستطيعين قوله إنها تشبه البطاقة التي كانت على أنبوبتك. لا إنها نفس البطاقة.

– هذا ما أعنيه يا سيدي. وأرجئت المحاكمة إلى اليوم التالي.. وبدأ السيد "**أدوين**" في استجواب الممرضة. فسألها في حدة:

– هذه الحقيبة التي سمعنا عنها الكثير. هل تركتها في 28 حزيران (يونيو) في الردهة الكبيرة؟ فأجابته الممرضة "**هوبكنز**":

– نعم.

– ولكن هذا إهمال شنيع!!

– هو ذلك للأسف.

– أهي عادتك دائما أن تتركي العقاقير الخطرة حيث يستطيع أي إنسان أن يحصل عليها؟

– كلا بالطبع يا سيدي.

– ولكنك فعلت ذلك في تلك الليلة، فكان في وسع أي إنسان بالمنزل أن يحصل على "**المورفين**" متى أراد.

– أظن ذلك.

– لا ظن هناك.. بل هو الذي حدث.

– نعم.. كان في وسع واحد من الخدم أن يأخذه.. كما كان ذلك في مقدور الطبيب والسيد "**رودريك ويلمان**"، والممرضة "**أوبريان**"، و"**ماري جيرارد**" نفسها.

– هل فطن أحد إلى أنك تحملين "**المورفين**" في حقيبتك؟

– لا أعلم.

– ألم تتحدثي عن ذلك إلى أحد؟

– نعم.. لم أتحدث.

– إذن فلم تكن الآنسة "**اليانور**" تعلم أن بحقيبتك "**مورفين**"؟

– إلا إذا كانت فتحتها ونظرت إلى ما فيها.

– هل ترين من المحتمل حدوث ذلك؟

– لا أدري.

– و"**ماري جيرارد**".. أكانت تعلم بوجود "**المورفين**"؟

– كلا.. إطلاقا.

– ولكنها تتردد على كوخك.

– ليس كثيرا.

– إن ترددها على كوخك يتيح لها تعرف ما تضعينه في حقيبتك.

– لا أظن يا سيدي.. لا أعتقد أنها كانت تعلم بوجود "**المورفين**" في الحقيبة.

– ألم تقولي في الصباح لزميلتك الممرضة "**أوبريان**" إنك تركت الأنبوبة في منزلك، وإنك سوف تعودين من أجلها؟

– نعم لم يحدث هذا.

– ألم تقولي إنك تركت الأنبوبة على الموقد في كوخك؟

– كان ذلك مجرد تخمين عندما لم أجدها في الحقيبة.

– وكيف يتفق التخمين مع تأكيدك أنها كانت في الحقيبة أثناء وجودها بردهة "**هنتربري**"؟

– لأنني عدت فتذكرت أني وضعتها في الحقيبة.

– الواقع أنك امرأة شديدة الإهمال.

– هذا ليس صحيحا.

– هل ألمحت إلي وخز وردة برسغك في 27 تموز (يوليو).. يوم توفيت "**ماري جيرارد**"؟

– لا أرى دخلا لذلك فيما نحن فيه! وتدخل القاضي قائلاً:

– هل تصر على سؤالك يا سيد "**أدوين**"؟ فأجاب هذا:

– نعم، لأن له دخلا كبيرا في مهمة الدفاع، ولأن في نيتي دعوة شهود لإثبات أن هذا الوخز كان أكذوبة.

ثم استطرد يقول للشاهدة:

– أمازلت تقولين بأن شوكة ورد قد وخزت رسغك في 27 تموز (يوليو)؟

– بلى.. بلى. وتجلى التحدي في عيني الممرضة ولكن محامي المتهمة عاد يسألها:

– متى حدث ذلك؟

– قبل مغادرتي الكوخ في طريقي إلى المنزل في صبيحة 27 تموز (يوليو).

– أي نوع من أشجار الورد كانت تلك الشجرة؟

– من النوع المتسلق النامي خارج الكوخ.

– أواثقة أنت بذلك؟

– كل الثقة. فصمت السيد "**أدوين**" لحظة ثم سألها:

– أما زلت مصرة على أن "**المورفين**" كان في حقيبتك عندما قدمت إلى "**هنتربري**" في 28 حزيران (يونيو)؟

– بلى.. كانت الأنبوبة في حقيبتي حينذاك.

– وماذا لو أقسمت الممرضة "**أوبريان**" أنك رجحت تركها في منزلك؟

– هذا لا يمنع من أنني واثقة بأن الأنبوبة كانت في حقيبتي.

– ألم يساورك القلق عندما اكتشفت فقدها؟

– نعم.

– على الرغم من علمك بأن فقدها يعني فقد كمية كبيرة من العقاقير الخطرة؟!

– لم يدر بخاطري آنذاك أن إنسانا أخذها.

– ولماذا لم تبلغي رسميا عن فقدها؟

– لأنني لم أتوجس خيفة لفقدها كما قلت. وتضرجت وجنتاها عندما عاد يقول:

– هذا إهمال إجرامي من جانبك يدل على أنك لا تقدرين التبعات. هل حدث في 26 تموز (يوليو) أن كتبت "**ماري جيرارد**" وصيتها؟

– نعم، ظنا منها أن هذا من توجيه الحكمة.

– ألم يكن ذلك بسبب شعورها بالضيق أو القلق على مستقبلها؟

– هراء.

– أتعلمين شيئا عما تمتلكه الفتاة، ويصح أن يرثها الغير عنها؟

– لم تكن تملك شيئًا على الإطلاق إذ ذاك، ولكنها كانت توشك أن تحصل على ألفي جنيه من الآنسة "**اليانور**".

– بطريق الإكراه أم كرما من الآنسة "**اليانور**"؟

– كرما منها وبمطلق حريتها.

– وكيف يتأتى هذا مع كراهيتها لـ"**ماري**"؟

– لا أدري.

– ألم تسمعي ثرثرة أو شائعات عن العلاقة بين "**ماري جيرارد**" والسيد "**رودريك ويلمان**"؟

– لقد كان معجبا بها مفتونا بجمالها.

– هل لديك دليل على ذلك؟

– كلا.. فقط لاحظت ذلك.

– أخشى ألا يقنع المحلفون بأنك لاحظت ذلك. ألم تقولي مرة إن "**ماري**" كانت تعلم أنه خطيب "**اليانور**"، وإنها صارحته بذلك في "**لندن**"؟

– هذا ما قالته لي. وهنا تدخل وكيل النيابة ليسألها:

– عندما كانت "**ماري جيرارد**" تتحدث إليك عن وصيتها هل حدث أن

أطلت المتهمة من النافذة؟

– نعم فعلت ذلك.

– وماذا قالت؟

– قالت:

"هذا مضحك! هذا عجيب !" ثم ضجت بالضحك مرات، وفي اعتقادي أنها منذ تلك اللحظة خامرتها فكرة التخلص من "**ماري**"، وقررت في نفسها قتلها.

فصاح القاضي محتدا:

– إلزمي الإجابة عن الأسئلة التي تطرح عليك، فلسنا في حاجة إلى سماع ما تعتقدين، أرجو حذف الجزء الأخير من جوابها. وقالت "**اليانور**" لنفسها:

– يا للعجب؛ أيريد حذف ما هو حقيقي؟! ثم ودت لو تستطيع الضحك عاليا. وجاء دور الممرضة "**أوبريان**" فأقسمت اليمين وسئلت:

– هل أفضت إليك الممرضة "**هوبكنز**" بشيء في صبيحة يوم 29 حزيران (يونيو)؟ فأجابت:

– نعم حدثتني عن اختفاء أنبوبة "**مورفين**" كانت في حقيبتها، وقد ساعدتها في البحث عنها بلا فائدة.

– هل تركت الحقيبة طوال الليل في الردهة؟

– نعم.

– أكان السيد "**ويلمان**" والمتهمة يقيمان في المنزل عندما ماتت السيدة "**ويلمان**"، أي من 28 حزيران (يونيو) إلى 29 منه.

– نعم.

– هل لك أن تقصي علينا حادثا وقع في 29 حزيران (يونيو).. أي في اليوم التالي لوفاة السيدة "**ويلمان**"؟

– شاهدت السيد "**رودريك**" يحدث "**ماري جيرارد**" عن حبه، ورأيته

يحاول تقبيلها على الرغم من أنه كان خطيبا للآنسة "**اليانور**" .

– وما حدث بعد ذلك؟

– طلبت إليه "**ماري**" أن يخجل من نفسه وهو خطيب لـ"**اليانور**" .

– ما رأيك الخاص في شعور المتهمة نحو "**ماري جيرارد**" ؟

– كانت تكرهها وتنم نظراتها عن الرغبة في كتم أنفاسها .

– هل حدث أن قالت لك الممرضة "**هوبكنز**" إنها ربما تركت أنبوبة "**المورفين**" في منزلها؟

– نعم قالت ذلك .

– أكانت بادية القلق من جراء اختفاء الأنبوبة؟

– كلا . . لأنها لم يخامرها شك في أن يكون إنسان ما قد أخذها .

– ألم يحدث أي شجار بين المتهمة و"**ماري جيرارد**" ؟

– نعم، لا شيء من هذا قط .

– هل أنت أيرلندية؟

– نعم . . وماذا في ذلك؟

– لا شيء سوى أن الأيرلنديين مشهورون بسعة الخيال .

– ثق بأن كل ما قلته هو الواقع بلا زيادة أو نقصان .

ووقف (البدّال) يدلي بشهادته القصيرة في تعثر وارتباك ويؤيد ما قالته المتهمة عن حوادث التسمم بالسمك .

- 14 -

وبدأ الدفاع خطابه قائلاً :

« سادتي المحلفين :

يحق لي أن أقول : أن لا وجه لإقامة الدعوى على المتهمة، ولا شك عندي في

أنكم لا تجدون ما يدعو إلى اتهامها. يقول الاتهام إن "**اليانور كارليسل**" حصلت على "**المورفين**" لتسمم "**ماري جيرارد**" مع أن هذه التهمة نفسها يمكن أن توجه بنفس السهولة إلى جميع من كانوا بالمنزل في ذلك الوقت، وأتيحت لهم نفس الفرصة، وقد اعتمد الاتهام على هذه الفرصة وحدها، ثم حاول البحث عن الدافع حيث لا دافع على الإطلاق. أما فصم الخطوبة بين "**اليانور**" و"**رودريك ويلمان**" فليس سببا لارتكاب جريمة قتل، وإلا لسمعنا في كل يوم عن حوادث قتل متعددة من هذا القبيل.

ثم أرجو أن تلاحظوا أن هذه الخطوبة لم تكن وليدة حب جارف، بل خطوبة ولدتها العلاقة العائلية وحدها وترعرع الاثنين معا. وكذلك أرجو أن تلاحظوا أن فصم الخطوبة لم يجئ من الخطيب وإنما من المتهمة، وفي وسعي أن أؤكد لكم أن هذه الخطوبة ما كانت لتتم إلا رغبة في إرضاء العجوز السيدة "**ويلمان**". فلما ماتت تحقق الخطيبان من أن شعورهما ليس من القوة والتبادل بحيث يبرر زواجهما فانفصمت الخطوبة.

هذا وقد شاء كرم "**اليانور**" ودماثة خلقها، ورقة طبعها أن تهب "**ماري جيرارد**" مبلغًا كبيرا من المال الذي ورثته، ثم نأتي الآن ونتهمها بقتلها، فهل بعد ذلك تناقض؟

إن كل ما يؤخذ على "**اليانور**" الظروف التي تمت فيها واقعة التسمم دون أن ينهض دليل واحد على إدانتها بتلك الجريمة المروعة.

«لقد نهض ممثل الاتهام فقال: وما كان في وسع أحد غير "**اليانور كارليسل**" أن يقتل "**ماري جيرارد**".

ولما طلب إليه إيجاد الدافع لم يستطع؛ لأنه لا دافع لدى "**اليانور**" إلى ذلك على الإطلاق، ثم لماذا نقطع بقتل الفتاة ومن الجائز أن تكون قد انتحرت؟ ولماذا لا يكون هناك من دس السم في "**السندوتش**" عندما كانت "**اليانور**" في

الكوخ؟ ولماذا لا نبحث عن شخص ثالث أتيحت له نفس الفرص وكان "**المورفين**" في حيازته ولديه الدافع الكافي لقتل ضحيته؟ سوف أدعو لكم من الشهود من يؤيد هذا، ولكني سأطلب أولا إلى المتهمة أن تروي لكم قصتها بنفسها لتروا بأنفسكم على أي أساس واهٍ أقام الاتهام دعواه».

ومضت "**اليانور**" تقسم اليمين وتجيب عن أسئلة السيد "**أدوين**" في صوت خافت، بينما انحنى القاضي إلى الأمام وطلب إليها أن ترفع صوتها، وكان صوت السيد "**أدوين**" رقيقا مشجعا وهو يقول:

– هل كنت تحبين "**رودريك ويلمان**"؟

– جداً؛ فقد كان أشبه بأخ لي أو ابن عم.

– هل توترت العلاقة بينكما قليلا بعد موت عمتك؟

– نعم.

– لأي سبب؟

– لشعور "**رودريك**" بأن الناس قد يرون في زواجنا صفقة تجارية من جانبه.

– ألم يكن لـ"**ماري جيرارد**" دخل في فصم خطبتكما؟

– أظن أن "**رودريك**" قد استهواه جمالها، ولكنني لا أعتقد أنه كان جادا في سعيه وراءها.

– أكنت تتألمين لو كان جادا في عواطفه نحوها؟

– كلا؛ إذ كنت أراها غير جديرة به.

– هل أخذت أنبوبة "**مورفين**" من حقيبة الممرضة "**هوبكنز**" في 28 حزيران (يونيو)؟

– كلا.. أبدا.

– هل كنت تعلمين أن العمة لم تكتب وصية من قبل؟

– كلا، ولذلك دهشت عندما فوجئت بأنها تطلب محاميها؛ ليكتب

وصيتها.

– ولماذا فكرت في منح "**ماري جيرارد**" ألفي جنيه من ميراثك؟

– لأن عمتي عاجلها الموت قبل أن تستطيع كتابة وصيتها، ولو فعلت لكتبت شيئًا لهذه الفتاة؛ لأنها كانت تحبها، وكانت شديدة القلق في ليلة موتها؛ لأنها لم تكتب شيئًا من قبل، ولهذا وجدتني مسؤولة عن ضمان مستقبل الفتاة، ومطالبة برد جميلها ومكافأتها على ما أظهرته لعمتي من العطف والرعاية والحنان.

– هل قدمت من "**لندن**" في 26 تموز (يوليو) ونزلت في فندق "**كنجز آرمز**"؟

– نعم.

– وماذا كان غرضك من الذهاب إلى "**هنتربري**"؟

– تلقيت عرضا بشأن المنزل، والرجل الذي اشتراه أراد أن ينتقل إليه في أسرع وقت ممكن، فكان عليّ أن أفرز ممتلكات عمتي الشخصية وأن أرتب الأمور عامة.

– هل اشتريت بعض المأكولات وأنت في طريقك إلى المنزل يوم 27 تموز (يوليو)؟

– نعم.. ظننت أنه من الأسهل شراء غداء جاهز؛ لأتناوله هناك بدلا من العودة إلى القرية.

– هل ذهبت بعد ذلك إلى المنزل، وقمت بفحص حاجات عمتك الشخصية؟

– نعم فعلت.

– وبعد ذلك؟

– نزلت إلى المطبخ، وأعددت بعض الشطائر "**السندوتشات**" ثم ذهبت إلى الكوخ الملحق بالمنزل، ودعوت الممرضة و"**ماري جيرارد**" للحضور إلى المنزل.

– لماذا فعلت ذلك؟

– أردت أن أجنبهما مشقة السير في الحر للذهاب إلى القرية ثم العودة مرة أخرى.

– إذن كان عملك طبيعيا ويدل على الطيبة من ناحيتك. وهل قبلتا الدعوة؟

– نعم، وسارتا معي إلى المنزل.

– أين كانت "**السندوتشات**" التي أعددتها؟

– تركتها في المطبخ على طبق.

– هل كانت النافذة مفتوحة؟

– نعم.

– هل كان بإمكان أي شخص الدخول إلى المطبخ أثناء غيابك؟

– طبعا.

– إذا كان هناك شخص يقوم بمراقبتك من الخارج أثناء إعدادك "**السندوتشات**" فماذا كان يدور بخلده؟

– أعتقد أنه كان يظن أنني أعد غداء خفيفا مثل الذي يعد للرحلات.

– ما كان ليعلم إذن أن أحدا سيشاطرك الغداء؟

– لا.. لأن فكرة دعوة الاثنتين لم تخطر لي إلا عندما رأيت كمية الطعام التي عندي.

– إذن فإنه إذا كان أحد قد دخل المنزل أثناء غيابك، ووضع "**المورفين**" في أحد "**السندوتشات**"، فإن المقصود بذلك هو "تسميمك" أنت؟

– أظن ذلك.

– ما الذي حدث عندما وصلتن إلى المنزل؟

– ذهبنا إلى غرفة الجلوس وأحضرت "**السندوتشات**" وقدمتها إلى الاثنتين.

– هل شربت معهما شيئا؟

– شربت ماء وكانت هناك مشروبات على المائدة، ولكن الممرضة "**هوبكنز**" و"**ماري**" فضلتا الشاي وذهبت الممرضة "**هوبكنز**" إلى المطبخ وأعدته وأحضرته على صحفة وقامت "**ماري**" بصبه.

– هل شربت منه شيئًا؟

– لا.

– ولكن الممرضة "**هوبكنز**" و"**ماري**" شربتا شايا؟

– نعم.

– ماذا حدث بعد ذلك؟

– ذهبت الممرضة "**هوبكنز**" وأطفأت موقد الغاز.

– وتركتك وحدك مع "**ماري جيرارد**"؟

– نعم.

– ماذا حدث بعد ذلك؟

– بعد دقائق قليلة رفعت الصحفة وطبق "**السندوتشات**" وحملتهما إلى المطبخ، وكانت الممرضة "**هوبكنز**" هناك، وقمنا نحن الاثنتان بغسل الصحاف والأقداح.

– هل كانت أكمام الممرضة "**هوبكنز**" مرفوعة في ذلك الوقت؟

– نعم؛ لأنها كانت تغسل الأوعية على حين كنت أنا أقوم بتجفيفها.

– هل أدليت لها بملاحظة معينة عن خدش في رسغها؟

– سألتها عما إذا كانت قد وخزت نفسها.

– وماذا كان جوابها؟

– قالت: «إنها شوكة من شجرة الورد التي في خارج الكوخ وسأخرجها حالا».

– ماذا كانت تصرفاتها في ذلك الوقت؟

– أظن أنها كانت متأثرة بالحرارة إذ كانت غارقة في العرق، وكان وجهها شديد الشحوب.

– ما الذي حدث بعد ذلك؟

– ذهبنا إلى أعلى وساعدتني في فرز الأشياء الخاصة بعمتي.

– ومتى نزلتما إلى الطابق الأرضي مرة أخرى؟

– بعد حوالي ساعة.

– أين كانت "**ماري جيرارد**" وقتئذ؟

– كانت جالسة في غرفة الجلوس، وكانت تتنفس بصعوبة وهي في غيبوبة، فطلبت الدكتور تليفونيا بناء على تعليمات الممرضة "**هوبكنز**" ووصل قبل أن تموت بلحظات. وهنا نصب السيد "**أدوين**" قامته في حركة "دراماتيكية"، وقال:

– الآنسة "**كارليسل**".. هل قتلت "**ماري جيرارد**"؟ وبرأس مرتفع وعينين تنظران إليه في استقامة قالت:

– لا.

وجاء دور السيد "**صامويل آتينبري**" ممثل الادعاء فإذا بقلبها يخفق بشدة.. الآن.. الآن ستكون تحت رحمة العدو.. لن تكون هناك رقة.. لن تكون هناك أسئلة تعرف الإجابة عنها. ولكنه بدأ أسئلته رفيقا. قال:

– هل كنت مخطوبة وعلى أهبة الاقتران بالسيد "**رودريك ويلمان**"؟

– نعم.

– هل كنت مغرمة به؟

– جداً.

– وأنا أقول: إنك كنت هائمة بحب "**رودريك ويلمان**"، وتغارين بشدة من حبه لـ"**ماري جيرارد**". أليس كذلك؟

– بلى .

– إنك قررت بإصرار أن تزيحي تلك الفتاة من طريقك على أمل أن يعود إليك "**روديك ويلمان**" .

– طبعا لا .

وتتابعت الأسئلة.. كانت كأنها في حلم.. حلم سيئ. كابوس.. سؤال يليه سؤال.. أسئلة مؤلمة ومفزعة.. وكانت مستعدة من قبل للإجابة عن بعضها.. ولكن البعض الآخر كان مفاجأة لم تستعد لها.

وكانت تحاول دائما أن تتذكر "الدور" الذي عليها أن تؤديه، وألا تنسى ذلك مرة واحدة.. كأن تقول مثلاً:

«نعم.. لقد كنت أكرهها، نعم.. لقد تمنيت لها الموت، نعم طوال الوقت الذي كنت أعد فيه "**السندوتشات**" كنت أفكر في موتها.. ».

وكان عليها دائما أن تبقى متماسكة وأن تكون إجابتها مقتضبة وخالية من الانفعال على قدر الإمكان.

لقد انتهى الأمر الآن.. وهذا الرجل ذو الأنف اليهودي بدأ يجلس، وها هو ذا صوت السيد "**أدوين بولمر**" الرقيق العطوف يلقي عليها مرة أخرى قليلا من الأسئلة.. أسئلة سارة الغرض منها إزالة الأثر السيئ الذي تركته أسئلة الادعاء.

◆◆◆◆◆

وها هو "**رودي**" يتقدم للإدلاء بأقواله، وقد ظهر عليه أنه كاره للأمر كله.. وكأنه ليس هو حقًّا.. ولكن لا شيء حقيقي بعد.. فكل شيء يسير بطريقة شيطانية.. فالأسود قد صار أبيض، وما كان في القمة أصبح في الحضيض، والشرق أصبح غربا.. وأنا.. أنا لست "**اليانور كارليسل**".. لقد أصبحت "المتهمة".. وسواء شنقوني أم أخلوا سبيلي فلن يعود أي شيء إلى ما كان عليه

من قبل.. لو كان هناك شيء.. شيء واحد معقول أتمسك به.. فربما يكون وجه "**بيتر لورد**".

أين وصل السيد "**أدوين**" الآن؟

– هلا قلت لنا ماذا كانت مشاعر الآنسة "**كازليسل**" نحوك؟ وأجاب "**رودي**" بصوته الرقيق:

– أقول: إنها كانت تميل إليّ بشدة، ولكنها بالتأكيد لم تكن تحبني عاطفيا.

– هل كنت راضيا عن خطبتك؟

– تماما.. فنحن متوافقان في كثير من الأمور.

– هلا ذكرت للمحلفين يا سيد "**ويلمان**" لماذا فسخت الخطبة؟

– حسنًا.. بعد موت السيدة "**ويلمان**" أظن أننا أصبنا بصدمة، وأنا لم أعجب بفكرة الزواج بامرأة غنية في الوقت الذي لا أملك فيه شيئًا.. وفي الواقع إن الخطبة قد ألغيت بناء على اتفاق متبادل.. ولقد شعر كلانا بضرورة الخلاص.

– والآن هلا ذكرت لنا بالضبط ماذا كانت عليه علاقتك بـ"**ماري جيرارد**"؟

(أوه! "**رودي**".. "**رودي**" المسكين.. لابد أنك كاره لكل هذا..).

– ظننت أنها جميلة جدًّا.

– هل كنت تحبها؟

– قليلاً.

– متى كانت آخر مرة رأيتها فيها؟

– دعني أتذكر.. لابد أن ذلك كان إما يوم 5 وإما يوم 6 تموز (يوليو). فقال السيد "**أدوين**" وفي صوته نبرة فولاذية:

– أظن أنك رأيتها بعد ذلك.

– لا.. لقد ذهبت إلى الخارج.. إلى "**البندقية**" و"**دالماسيا**".

– متى عدت إلى "**إنجلترا**" ؟

– عندمـا تسلمت البـرقـيـة.. دعني أتذكـر.. في اليـوم الأول من آب (أغسطس).

– ولكنني أظن أنك كنت في "**إنجلترا**" يوم 27 تموز (يوليو).

– لا.

– تذكر أنك قد أقسمت اليمين يا سيد "**ويلمان**".. ألا يدل جواز سفرك على أنك عدت إلى "**إنجلترا**" يوم 25 تموز (يوليو) وغادرتها مرة أخرى ليلة 27 تموز (يوليو)؟

وكان في صوت السيد "**أدوين**" نبرة تهديد.. وقطبت "**اليانور**" جبينها وقد عادت إلى الواقع فجأة.. لماذا يقوم الدفاع بمهاجمة الشاهد الذي يستند إليه؟ وكان وجه "**رودي**" قد شحب.. وقد ران عليه الصمت دقيقة أو دقيقتين.. ثم قال في صعوبة:

– حسنًا.. بلى. هذا هو الواقع.

– هل ذهبت لرؤية تلك الفتاة "**ماري جيرارد**" في "**لندن**" في مسكنها يوم 25 تموز (يوليو)؟

– نعم.. فعلت.

– هل طلبت إليها أن تتزوجك؟

– نعم.

– ماذا كان جوابها؟

– رفضت.

– أنت لست غنيا يا سيد "**ويلمان**" ؟

– لا.

– وأنت مدين بمبالغ كبيرة؟

– وماذا دخلك أنت؟

– ألم تكن على علم بأن الآنسة " **كارليسل**" قد تركت لك كل أموالها في حالة موتها؟

– هذه أول مرة أسمع فيها ذلك.

– هل كنت في "**ميدنز فورد**" في صباح يوم 27 تموز (يوليو)؟

– لم أكن. وجلس السيد "**أدوين**" . فقام ممثل الادعاء ليسأل:

– تقول إنك تظن أن المتهمة لم تكن تحبك بشدة؟

– هذا ما قلته.

– هل أنت رجل شهم يا سيد "**ويلمان**" ؟

– لا أعرف ماذا تعني؟

– إذا كانت هناك سيدة تحبك بشدة، وأنت لاتحبها، فهل تشعر أن من واجبك أن تخفي الحقيقة؟

– طبعا لا.

– أين كانت دراستك يا سيد "**ويلمان**" ؟

– في "**أيتون**" . فقال السيد "**صامويل**" بابتسامة هادئة:

– هذا هو كل شيء.

وتوالى.

◆◆◆◆◆

«**ألفريد جيمس وارجريف**»

– هل تعمل في تربية الأزهار وتسكن في "**أمزورث**" بـ"**بركنز**" ؟

– نعم.

– هل ذهبت يوم 20 تشرين الأول (أكتوبر) إلى "**ميدنز فورد**" لتفحص

شجرة ورد نامية خارج الكوخ الملحق بـ"**هنتربري**"؟

– فعلت.

– هلا وصفت لنا تلك الشجرة؟

– إنها من أشجار الورد المتسلقة، وزهرتها قرمزية ذات رائحة جميلة، وليس لها أشواك.

– هل من المستحيل إذن أن يوخز المرء من شجرة ورد من ذلك النوع؟

– من المستحيل تماما. فإنها شجرة غير ذات أشواك.

لا أسئلة من الطرف الآخر.

◆◆◆◆◆

– هل أنت "**جيمس آرثر ليتلديل**".. كيميائي مؤهل تعمل لدى تاجري الجملة الكيميائيين "**جنكز**" و"**هيل**"؟

– نعم.

– هلا ذكرت لنا ما هذه القصاصة من الورق؟

وقدم له المستند.

– إنها قصاصة من بطاقاتنا التي نلصقها على أنابيب أقراص "**المورفين**".

– هل أنت واثق بذلك؟

– نعم. إنها من أنبوبة "**هيدرو كلوريد آبومورفين**".

– أليست بطاقة أنبوبة "**هيدرو كلوريد المورفين**"؟

– نعم.. نعم لا يمكن أن تكون كذلك.

– لماذا؟

– في الحالة الأخيرة يكتب حرف الميم في "**مورفين**" كبيرا، ونهاية حرف الميم هنا كما أراه بالعدسة المكبرة بوضوح يدل على أنه جزء من حرف ميم صغير

وليس بكبير.

– أرجو أن تدعني أقدم القصاصة للمحلفين ليفحصوها بالعدسة المكبرة.. وهل معك بطاقات تستشهد بها على ما قلت؟ وقدمت البطاقات للمحلفين ليفحصوها. ثم تابع السيد "**أدوين**" استجوابه:

– قلت: إن تلك القصاصة من أنبوبة "**هيدرو كلوريد آبومورفين**" فما بالضبط "**الهيدرو كلوريد آبومورفين**"؟

– إن رمزه الكيميائي هو: ك 17 يد 17 ز أ 2 وهو أحد مشتقات "**المورفين**".

– وما خصائص "**الآبومورفين**"؟

– إنه أسرع وأقوى عقار للقيء عرف للآن، فتأثيره يظهر بعد دقائق قليلة.

– إذن فإنه إذا تناول شخص جرعة كبيرة من "**المورفين**"، وأُعطي حقنة من "**هيدروكلوريد آبومورفين**" فما الذي يحدث؟

– يبدأ بالقيء فوراً ويطرد الجسم "**المورفين**".

– إذن لنفرض أن اثنين اشتركا في تناول "**سندويتش**" أو الشرب من إبريق الشاي نفسه، وأن أحدهما أعطي حقنة من "**هيدرو كلوريد آبومورفين**" فماذا تكون النتيجة على فرض أن الغذاء أو الشراب الذي شارك فيه الآخر كان محتويا على "**مورفين**"؟

– يخرج الأكل والشراب وكذلك "**المورفين**" في القيء الذي يحدث للشخص الذي حقن بـ"**الهيدرو كلوريد آبومورفين**".

– وهل تحدث عواقب سيئة لمثل ذلك الشخص؟

– لا.

وفجأة ظهرت حركة اهتمام في قاعة المحكمة وأصدر القاضي أمرا بالصمت.

◆◆◆◆◆

– هل أنت "**أميليا ماري سيدلي**" وتقيمين في رقم 17 "**تشارلس ستريت**" في "**بونامبا**" بـ"**أوكلاند**" ؟

– نعم.

– أتعرفين سيدة اسمها السيدة "**دريبر**" ؟

– نعم، لقد عرفتها منذ أكثر من عشرين عامًا.

– أتعرفين اسمها الحقيقي؟

– نعمّ، فقد حضرت زواجها.. اسمها "**ماري رايلي**" .

– هل هي من أبناء "**نيوزيلندا**" ؟

– لا.. لقد حضرت من "**إنجلترا**" .

– هل كنت في المحكمة منذ بدء المحاكمة؟

– نعم.

– أين رأيتها؟

– رأيتها تشهد من فوق هذه المنصة.

– تحت أي اسم؟

– "**جيسي هوبكنز**" .

– هل أنت واثقة تماما أن هذه الـ"**جيسي هوبكنز**" هي المرأة التي تعرفينها باسم "**ماري رايلي**" أو "**دريبر**" ؟

– لا شك في ذلك.

– ومتى كانت آخر مرة رأيت فيها "**ماري دريبر**" قبل أن تريها هنا اليوم؟

– منذ خمسة أعوام.. فقد ذهبت إلى "**إنجلترا**" . فقال السيد "**أدوين**" وهو ينحني للادعاء:

– الشاهدة أمامك ولك أن تسألها. ووقف السيد "**صامويل**" وقد ظهرت على وجهه الحيرة، وقال:

– أظن أنك يا سيدة "**سيدلي**" قد تكونين مخطئة.

– أنا لست مخطئة.

– قد يكون سبب ذلك وجود بعض التشابه.

– أنا أعرف "**ماري دريبر**" معرفة كافية.

– إن الممرضة "**هوبكنز**" هي ممرضة حي رسمية.

– لقد كانت "**ماري دريبر**" ممرضة في مستشفى قبل زواجها.

– هل تدركين أنك بذلك تتهمين شاهدة الادعاء بالكذب في شهادتها؟

– أنا أدرك ما أقول.

◆◆◆◆◆

– أنت "**إدوارد جون مارشال**" وقد عشت بضعة أعوام في "**أوكلاند**" بـ"**نيوزيلندا**" وتقيم الآن في رقم 14 "**رن ستريت**" في "**دبتفورد**" أليس كذلك؟

– بلى.. هذا صحيح.

– هل تعرف "**ماري دريبر**"؟

– لقد عرفتها من عدة أعوام في "**نيوزيلندا**".

– هل رأيتها في المحكمة هنا اليوم؟

– نعم.. لقد أسمت نفسها "**هوبكنز**".. ولكنها السيدة "**دريبر**" نفسها.

ورفع القاضي رأسه.. وقال في صوت واضح ثاقب:

– أظن أنه من المرغوب فيه أن تستدعى الشاهدة "**جيسي هوبكنز**". فترة صمت.. ثم همهمة.

– سيدي القاضي.. لقد غادرت "**جيسي هوبكنز**" قاعة المحكمة منذ بضع دقائق.

◆◆◆◆◆

"**هركيول بوارو**"

ووقف "**بوارو**" على منصة الشهادة وأقسم اليمين وفتل شاربه وانتظر، وقد مال رأسه إلى اليسار ثم ذكر اسمه وعنوانه ومهنته.

– أتذكر هذا المستند يا سيد "**بوارو**"؟

– بالتأكيد.. إنه الخطاب الذي كتبته "**أليزا رايلي**" زوجة المدعو "**جيرارد**" قبل وفاتها.

– كيف حصلت عليه؟

– لقد أعطتني إياه الممرضة "**هوبكنز**". فقال السيد "**أدوين**":

– بعد استئذانك يا سيدي القاضي سأقرأ المستند بصوت مرتفع، وبعد ذلك يمكن تقديمه للمحلفين.

- 15 -

مرافعة الدفاع

«حضرات المحلفين.. إن المسؤولية تقع عليكم الآن.. ولكم أن تقولوا ما إذا كان من حق "**اليانور كارليسل**" أن تخرج من قاعة المحكمة حرة طليقة أم لا.. فإذا كنتم بعد الإثبات الذي سمعتموه تجدون أنكم على يقين من أن "**اليانور كارليسل**" قد سممت "**ماري جيرارد**"، فإن من واجبكم عندئذ أن تعلنوا أنها مذنبة.

ولكن إذا وضح لكم أن هناك دليلا قويا مثل السابق أو أقوى منه يدين شخصا آخر، فإن من واجبكم عندئذ "إطلاق سراح" المتهمة على الفور.

ولابد أنكم قد تحققتم الآن أن وقائع القضية مختلفة جداً عما كانت تبدو في بادئ الأمر.

فبالأمس بعد الشهادة والإثبات "الدراماتيكي" الذي قدمه لنا السيد "**بوارو**" استدعيت شهودا آخرين؛ لأثبت بما لا يدع مجالا للشك أن الفتاة "**ماري جيرارد**" كانت الابنة غير الشرعية لـ"**لورا ويلمان**" ومتى ثبت هذا فإن ذلك يعني أن أقرب قريب للسيدة "**ويلمان**" لم تكن "**اليانور كارليسل**" ابنة أخيها. ولكن ابنتها غير الشرعية التي كانت معروفة باسم "**ماري جيرارد**"، وعلى ذلك فإن "**ماري جيرارد**" ورثت عند موت السيدة "**ويلمان**" ثروة طائلة.. هذا أيها السادة لب الموضوع. مبلغ في حدود مائتي ألف من الجنيهات ورثته "**ماري جيرارد**" ولكنها لم تكن تدرك تلك الحقيقة، كما أنها كانت أيضا غير مدركة للشخصية الحقيقية للمرأة "**هوبكنز**". وقد تظنون – أيها السادة – أنه ربما كان لدى "**ماري رايلي**" أو "**دريبر**" سبب مشروع لتغيير اسمها إلى "**هوبكنز**"، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا لم تذكر لنا ذلك السبب؟ إن كل ما نعرفه هو ما يلي: إنه بإيحاء من الممرضة "**هوبكنز**" كتبت "**ماري جيرارد**" وصية تركت فيها كل شيء لـ"**ماري رايلي**" شقيقة "**أليزا رايلي**". ونحن نعرف أن مهنة الممرضة "**هوبكنز**" تمكنها من الحصول على "**المورفين**" وعلى "**الآبومورفين**" وأنها كانت تدرك خصائص كل منهما.. يضاف إلى ذلك أنه قد ثبت أن الممرضة "**هوبكنز**" لم تقل الصدق عندما زعمت أن رسغها قد وخزته شوكة من شجرة ورد ليس بها أشواك.

فلماذا كذبت إن لم تكن تريد أن تقدم بسرعة سببا لوجود العلامة الناجمة من إبرة الحقن؟ وتذكروا أيضا أن المتهمة قد أقسمت على أنها عندما انضمت إلى الممرضة "**هوبكنز**" في المطبخ وجدتها كالمريضة، وأن وجهها كان به شحوب وهو أمر مفهوم إذ كانت قد تقيأت تقيؤا شديدا.

وسأوجه أنظاركم إلى نقطة أخرى وهي أن السيدة "**ويلمان**" لو كانت قد عاشت أربعا وعشرين ساعة أخرى لكتبت وصيتها، ومن المحتمل جداً أن تلك

الوصية كانت ستحوي شرطا تهب به "**ماري جيرارد**" جزءاً طيبا من ثروتها، ولكنها لم تكن لتترك لها كل ثروتها ما دام الاعتقاد الذي كانت تؤمن به السيدة "**ويلمان**" هو أن ابنتها غير المعترف بها ستكون أسعد إذا بقيت على حياتها التي نشأت عليها.

وليس من حقي أن أعلق على الشهادة ضد شخص آخر إلا إذا ظهر لكم أن هذا الشخص الآخر كانت لديه ظروف متكافئة ودافع قوي لارتكاب الجريمة.

ومن خلال وجهة النظر هذه أضع بين أيديكم – يا حضرات السادة المحلفين – القضية المقامة ضد "**اليانور كارليسل**" وقد انهارت تماما».

◆◆◆◆◆

من تلخيص القاضي للمحلفين عن القضية:

«يجب أن تكونوا على يقين تماما أن تلك المرأة فعلا قد قامت بتقديم جرعة قاتلةً من "**المورفين**" لـ"**ماري جيرارد**" يوم 27 من تموز (يوليو)، فإذا لم تكونوا مقتنعين يجب عليكم إطلاق سراحها.

وقد ذكر الادعاء أن الشخص الوحيد الذي كان بإمكانه تقديم السم إلى "**ماري جيرارد**" هو المتهمة، وقد حاول الدفاع أن يثبت أنه كان هناك إمكانات أخرى، فهناك النظرية القائلة بأن "**ماري جيرارد**" قد تكون انتحرت، ولكن الدليل الوحيد الذي يؤيد تلك النظرية هو أن "**ماري جيرارد**" قد كتبت وصيتها قبيل موتها.. وليس هناك أي دليل على أنها كانت يائسة، أو غير سعيدة، أو في حالة عقلية تؤدي بها إلى إنهاء حياتها، كما قيل أيضا: إن "**المورفين**" قد يكون قدمه في "**السندوتشات**" شخص دخل المطبخ خلال الفترة التي غابت فيها "**اليانور كارليسل**"، وفي هذه الحالة يكون السم مقصودا به "**اليانور كارليسل**" ويكون موت "**ماري**

جيرارد" قد حدث بطريق الخطأ، أما الاحتمال الآخر الذي أشار إليه الدفاع أن شخصا آخر كانت لديه إمكانات لتقديم سم "**المورفين**"، وفي تلك الحالة يكون السم قد قدم في الشاي وليس في "**السندوتشات**"، ويؤيد تلك النظرية الشاهد "**ليتلديل**" الذي استدعاه الدفاع والذي أقسم أن قصاصة الورق التي وجدت في المطبخ من بطاقة توضع على أنبوبة تحوي "**آبومورفين**" وهو عقار قوي للقيء، وقد قدمت لكم نماذج من بطاقات العقارين، وفي نظري أن "البوليس" أهمل إهمالا شديدا في عدم التحقق من القصاصة قبل أن يسرع بالتقرير بأنها بطاقة "**مورفين**".

وقد ذكرت الشاهدة "**هوبكنز**" أن شوكة من شجرة ورد بجوار الكوخ قد وخزت رسغها، وقد فحص الشاهد "**وارجريف**" تلك الشجرة وقرر أن ليس بها أشواك، وعليكم أن تقرروا ما الذي سبب العلامة على رسغ الممرضة "**هوبكنز**" ولماذا كذبت بشأنها؟

فإذا كان الادعاء قد أقنعكم أن المتهمة وحدها قد ارتكبت الجريمة فعليكم إذن أن تقرروا أن المتهمة مذنبة. وإذا كانت النظرية الأخرى المقدمة من الدفاع ممكنة ومتفقة مع الوقائع يجب "إطلاق سراح" المتهمة. وأنا أطلب منكم أن تدرسوا قراركم في شجاعة وحكمة، وألا تقيموا وزنا إلا للأدلة التي قدمت إليكم».

وأحضرت "**اليانور**" مرة أخرى إلى قاعة المحكمة.

ودخل المحلفون.

– حضرات المحلفين.. هل اتفقتم على قرار؟

– نعم.

– انظروا إلى السجينة في القفص وقولوا: هل هي مذنبة أو غير مذنبة؟

– غير مذنبة.

- 16 -

أخرجوها من باب جانبي.. وكانت هناك بعض وجوه ترحب بها.. هناك "**رودي**".. والمخبر ذو الشارب الكبير.. ولكنها استدارت نحو "**بيتر لورد**". وقالت:

– أريد أن أذهب إلى مكان بعيد.

وكانت تجلس معه في السيارة "**الديملر**" التي كانت تغادر "**لندن**" مسرعة.. لم يقل لها شيئاً، وكانت تجلس في هذا السكون السعيد وكل دقيقة تمر.. تدنيها من حياة جديدة.. وهذا هو ما كانت تطلبه.. حياة جديدة.

وقالت فجأة:

– أريد أن أذهب إلى مكان هادئ.. ليس فيه أية وجوه. فقال "**بيتر لورد**" في هدوء:

– إن كل شيء قد رتب أمره.. أنت ذاهبة إلى مصحة.. مكان هادئ، وحدائق جميلة.. ولن يضايقك أحد.

فقالت في تنهد:

– نعم.. هذا ما أرغب فيه.

لقد رأت أن مهنته كطبيب هي التي جعلته يفهم.. إنه يعرف ومع ذلك لم يضايقها.. أية سعادة تشعر بها وهي معه هنا تبتعد عن كل شيء.. عن "**لندن**".. متجهة نحو مكان أمين.

لقد كانت تريد أن تنسى كل شيء يتصل بالحياة القديمة والعواطف القديمة.. لقد أصبحت مخلوقة جديدة، غريبة بلا قوة على الدفاع، تبدأ الحياة مرة أخرى من جديد.

والآن لقد أصبحا خارج "**لندن**" مخترقين الضواحي. فقالت أخيرا:

– إنني لا أعرف كيف أشكرك. فقال "**بيتر لورد**" :

– الشكر للسيد "**بوارو**" .. ذلك الشخص الساحر. ولكن "**اليانور**" هزت رأسها وقالت في عناد:

– بل لك أنت.. أنت الذي أحضرته وجعلته يفعل ما فعل. وابتسم "**بيتر**" وقال:

– لقد جعلته يفعل ذلك حقًّا. فقالت "**اليانور**" :

– هل كنت تعرف أنني لم أرتكبها أو أنك لم تكن واثقا؟ فقال "**بيتر**" في بساطة:

– لم أكن واثقا تماما. فقالت "**اليانور**" :

– ولهذا السبب كدت أقول في البداية: إنني مذنبة.. لأنني – كما ترى – قد فكرت في الجريمة.. فكرت في ذلك يوم أن ضحكت وأنا واقفة خارج الكوخ. فقال **بيتر**" :

– نعم.. أعرف ذلك. فقالت في عجب:

– يبدو الأمر الآن غريبا.. ففي ذلك اليوم الذي أعددت فيه "**السندويتشات**" كنت أفكر هل أضع لها السم لتموت ويعود "**رودي**" إليَّ؟ فقال "**بيتر لورد**" :

– إن بعض الناس يشتط بهم الخيال في مثل تلك المواقف.. وهو شيء غير ضار حقًّا.. ففيه ترويح عن المشاعر، وتنفيس للعواطف المكبوتة. فقالت "**اليانور**" :

– نعم.. هذا حقيقي؛ لأن ذلك الشعور ذهب بعد ذلك فجأة، وعندما ذكرت تلك المرأة شجرة الورد خارج الكوخ هدأت ثائرتي. ثم أضافت وهي ترتعش:

وبعد ذلك عندما رجعنا إلى غرفة الجلوس وكانت "**ماري**" تموت ساءلت

نفسي: «هل هناك فرق كبير بين التفكير في الجريمة وارتكابها؟» فقال "**بيتر لورد**" :

– فرق كبير جداً؛ فالتفكير لا يسبب أي ضرر. فصاحت "**اليانور**" :

– أوه! أنت شخص مطمئن. فقال "**بيتر لورد**" :

– لا.. هذا هو المنطق. فقالت "**اليانور**" وقد اغرورقت عيناها بالدموع فجأة:

– في المحكمة كنت بين حين وآخر أنظر إليك.. وكان ذلك يبث فيّ الشجاعة.. فقد كان مظهرك كما عهدته وكما تعودت أن أراه.

– أفهم ما تعنين، عندما يكون المرء وسط كابوس فالأمل الوحيد بالنسبة إليه هو الشيء الذي تعوده، وعلى كل حال فالأشياء المعتادة هي أفضل الأشياء. وللمرة الأولى منذ ركبت السيارة أدارت رأسها ونظرت إليه وفكرت.

« إن وجهه لطيف.. لطيف ومطمئن». واستمرت السيارة في طريقها حتى وصلت إلى بوابة مرت منها لتسير في طريق ملتوٍ حتى وصلت إلى منزل أبيض هادئ بجانب تل، وهناك قال:

– ستكونين في أمان تام هنا ولن يضايقك أحد. وفي حركة لا شعورية وضعت يدها على ذراعه وقالت:

– وأنت.. هل ستحضر لتراني؟

– طبعا.

– كثيرا؟

– ذلك يتوقف على رغبتك.

– إذن أرجوك أن تحضر.

- 17 -

قال "**بوارو**" :

– هأنتذا ترى يا صديقي أن الأكاذيب التي تقولها الناس هي أيضًا ذات نفع مثل الحقائق. فسأله "**بيتر لورد**" :

– هل كذب عليك الجميع؟

– أوه! نعم.. لسبب أو أكثر.. والشخص الوحيد الذي كان من واجبه أن يقول لي الحقائق كان يمتاز بالحساسية من تلك الناحية.. هذا الشخص هو الذي حيرني أكثر من أي شخص آخر.

– "**اليانور**" .

– تماما.. إذ أن الأدلة كانت تشير إليها وهي لا تحاول عمل أي شيء لإثبات براءتها، بل إنها كانت تتهم نفسها باعتقادها أن الرغبة – إن لم يكن الفعل نفسه – هي ما يثقل ضميرها حتى أنها كادت تعترف بالذنب في أول المحاكمة.

– أمر لا يصدق.

– ولكنه الواقع يا صديقي؛ لأنها تحكم على نفسها بمقياس أدق من المقياس الذي يعيش به أكثر الناس.

– أنت على حق في ذلك. وهنا مضى "**بوارو**" في حديثه فقال:

– من اللحظة الأولى التي بدأت فيها تحرياتي كان هناك دائما احتمال كبير هو أن تكون "**اليانور**" قد ارتكبت الجريمة التي اتهمت بها، ولكنني وفيت بوعدي لك وكشفت أن الاتهام قد يوجه بدرجة أكبر نحو شخص آخر.

– الممرضة "**هوبكنز**" ؟

– ليس في أول الأمر، فقد جذب انتباهي "**رودريك ويلمان**" إذ أنه كذب حين قال إنه غادر "**إنجلترا**" يوم 9 حزيران (يونيو) وعاد في اليوم الأول من آب (أغسطس)؛ لأن الممرضة "**هوبكنز**" ذكرت عرضا أن "**ماري جيرارد**" رفضت

"**رودريك ويلمان**" مرتين إحداهما في "**ميدنز فورد**"، والثانية في "**لندن**" . . وأنت تذكر أنني قلت لك: إن لي صديقا من اللصوص طلبت إليه المساعدة وبذلك عرفت من جواز سفر "**رودريك**" أنه كان في "**إنجلترا**" من 25 إلى 27 تموز (يوليو) فلماذا كذب عليّ متعمدا؟ وتلك الفترة التي غابتها "**اليانور**" عن المطبخ. . إذا كان "**رودريك ويلمان**" هو الشخص الذي وضع السم فإن الضحية المقصودة كانت "**اليانور**" وليست "**ماري**"، فأي دافع لدى "**رودريك**" لقتل "**اليانور**"؟

كان هناك دافع قوي، هو أنها كتبت وصية وهبت له بها كل شيء، ومن أسئلتي له علمت أنه قد يكون عالما بمحتويات الوصية. فسأله "**بيتر لورد**" :

– ولماذا قررت أنه غير مذنب؟

– بسبب كذبة ثانية تمتاز بالغباء والحماقة، إذ قالت الممرضة "**هوبكنز**" : إنها وخزت رسغها بشوكة شجرة ورد فذهبت لأرى تلك الشجرة فلم أجد بها أشواكا. . إذن كذبت الممرضة كذبة لا معنى لها، وهذا ما جذب انتباهي إليها. . فبدأت أتقصى عنها، وفجأة تذكرت أنها عرفت شيئا خاصا بـ"**ماري جيرارد**"، وأنها بطريقتها الخاصة، تبذل معظم اهتمامها حتى يعرفه الناس.

– لقد ظننت أن الأمر على عكس ذلك.

– في الظاهر نعم؛ فقد كانت تؤدي ببراعة دور شخص يعرف سرا ولكنه لن يفشيه، ثم عندما قابلت الممرضة "**أوبريان**" أيقنت أنها قد استخدمتها ببراعة، فتأكد ظني من أن للممرضة "**هوبكنز**" غرضا آخر. .

وقارنت بين أكذوبتها وأكذوبة "**رودريك ويلمان**" وساءلت نفسي: «هل لكل منهما سبب بريء يدفع إلى تلك الكذبة»؛ ففي حالة "**رودريك**" كان الإيضاح أنه خجل من عدم إمكانه المحافظة على وعده بالبقاء في الخارج فترة من الزمن لا يرى فيها "**ماري جيرارد**" وهذا ما جعله يكذب، أما في حالة الممرضة

"**هوبكنز**" فكنت كلما فكرت في كذبتها زادت شكوكي نحوها» وهنا بدأت أسأل نفسي: «من الذي سرق منها "**المورفين**"..؟ "**هوبكنز**".. من كان في إمكانه إعطاء السيدة "**ويلمان**" "**المورفين**"؟ "**هوبكنز**".. ولكن لماذا تجذب الأنظار إلى فقدان "**المورفين**"؟» كانت هناك إجابة واحدة عن ذلك السؤال في حالة ما إذا كانت "**هوبكنز**" هي الجانية ألا وهي أن الجريمة الأخرى جريمة قتل "**ماري جيرارد**"، كانت قد أعدت ورسمت وأنه قد اختير لذلك ضحية، وأن تلك الضحية يجب أن يكون لديها الفرصة لأخذ "**المورفين**".

عندئذ بدأ اللغز يتضح قليلا.. الخطاب الصادر من مجهول والذي أرسل إلى "**اليانور**" كان الغرض منه إساءة العلاقة بين "**اليانور**" و"**ماري**".. حضور "**اليانور**" لمحاولة الحد من تأثير "**ماري**" على السيدة "**ويلمان**"، ثم واقعة غرام "**رودريك ويلمان**" بـ"**ماري**" التي لم تكن في الحسبان، ولكن سرعان ما استغلتها الممرضة "**هوبكنز**" ورأت هناك دافعا كاملا للضحية "**اليانور**".

وهنا تساءلت: ما السبب في الجريمتين وخصوصاً قتل "**ماري جيرارد**"؟

هنا بدأت أجد ضوءاً هو: أن لـ"**هوبكنز**" تأثيرا كبيرا على "**ماري**"، وآية ذلك أنها دفعتها إلى كتابة وصية، ولكن التي تستفيد من الوصية ليست "**هوبكنز**" بل خالة لـ"**ماري**" كانت تسكن في "**نيوزيلندا**"، وهنا تذكرت ملاحظة عابرة من أحد سكان القرية إذ ذكر لي أن تلك الخالة كانت يوما ما ممرضة في مستشفى.. عندئذ لم يعد ذلك الضوء ضئيلا، ولذلك كانت زيارتي الثانية للممرضة "**هوبكنز**"، ومثل كلانا دوره في حذق، وفي النهاية زعمت أنها قد اقتنعت بمحاوراتي وأطلعتني على ما كانت تهدف إليه طوال الوقت، ألا وهو سر مولد "**ماري**".. وعندئذ تيقنت يا صديقي؛ لأن ذلك الخطاب فضحها.

– كيف..؟

– لقد كان مكتوبا على الغلاف :

« يرسل إلى "**ماري**" بعد موتي ولا يسلم لـ"**ماري**" » . فعرفت أن هناك "**ماري**" أخرى، وأنها "**ماري رايلّي**" أخت "**أليزا**" .. والواقع أن "**هوبكنز**" لم تعثر على هذا الخطاب في الكوخ بين أوراق "**جيرارد**" ولكنه كان معها منذ سنوات وأنها تسلمته في "**نيوزيلندا**" ، حيث أرسل إليها بعد موت أختها، وأن "**هوبكنز**" هي خالة "**ماري جيرارد**" وبالرجوع إلى بوليس "**نيوزيلندا**" عرفت أن الممرضة "**رايلي**" كانت تعنى بسيدة عجوز كان موتها الفجائي موضع دهشة طبيبها المعالج، ثم ظهر أنها خصت "**رايلي**" في وصيتها ببعض المال .. كما عرفت أن زوج "**رايلي**" هذه أمن على حياته ثم مات، ولكن لسوء حظها نسي الزوج أن يرسل (الشيك) للشركة.. وكذلك تروج شائعات عن حوادث قتل من هذا القبيل حول هذه الممرضة.. وأخيرا قدمت إلى هذه البلاد واتخذت اسم "**هوبكنز**" (وهو اسم زميلة سابقة لها ماتت في الخارج). ويبدو أنها لم توفق في ابتزاز النقود بالتهديد من السيدة "**ويلمان**" . ولما اشتد المرض بالأخيرة وطلبت أن تكتب وصيتها حرصت "**هوبكنز**" على أن تموت السيدة دون أن تكتبها حتى تكون الوارثة ابنتها غير الشرعية.. وكانت قد وثقت علاقتها بـ"**ماري جيرارد**" واستطاعت أن تخضعها لنفوذها فأصبح كل ما عليها هو أن تحرض الفتاة على كتابة وصية تترك فيها ما تملك لخالتها ثم تقتلها في الوقت المناسب، واستعانت بـ"**الآبومورفين**" لإنقاذ نفسها من الشاي المسمم الذي أعدتها بيدها. ويبدو أنها كانت تزمع دعوة "**اليانور**" إلى كوخها فجاءت هذه وهيأت لها الفرصة.

ثم التفت إلى الدكتور "**لورد**" وقال له باسما:

– وقد حاولت أنت بدورك أن تكذب عليّ بقصة السيارة وقصة علبة الثقاب؛ فقد حملت البستاني على القول بأنه رأى سيارة في الطريق، ثم ادعيت أنها لم

تكن سيارتك وإنما سيارة شخص غريب. والآن ماذا كنت تصنع في ذلك الصباح؟

– علمت أنها مضت إلى المنزل فأردت أن أراها وقد شاهدتها من النافذة وهي تقطع "**السندوتش**" وظللت أراقبها إلى أن اختفت.

– هل أحببت "**اليانور**" حبا جارفا؟

– من اللحظة التي وقعت فيها عيناي عليها.

– إنها في حاجة إليك.

– لقد دعتني إلى زيارتها كثيرا. قل لي هل كانت "**هوبكنز**" تنوي حقيقة كشف الستار عن علاقة "**ماري جيرارد**" الحقيقية بالسيدة "**ويلمان**"؟

– هو ذلك يا أبله. ثم إذا ثبت أنها الوارثة الوحيدة لها انحدرت الثروة إلى "**ماري رايلي**".. أي إلى الممرضة "**هوبكنز**" نفسها خالة القتيلة.

تمّت بعون الله

هذه هي أسماء وأرقام الروايات التي يمكنكم طلبها...

سارع في إرسال طلبك !

١	ابنة الفراعنة
٢	جريمة الفندق
٣	أخطاء القضاء
٤	أدلة الجريمة
٥	الإرث الدامي
٦	أصابع الاتهام
٧	امرأة خطرة
٨	بصمات الأصابع
٩	بواعث الجريمة
١٠	بيت الأهوال
١١	التضحية الكبرى
١٢	الثلوج الدامية
١٣	الجثة التي اختفت
١٤	الجثة الثانية
١٥	جثة في المكتبة
١٦	الجريمة الأخيرة
١٧	جريمة أم
١٨	جريمة البرج
١٩	جريمة بلا شهود
٢٠	الجريمة تدق الباب
٢١	جريمة حب
٢٢	جريمة عائلية
٢٣	جريمة على الشاطئ
٢٤	
٢٥	جريمة في بيت الطالبات
٢٦	جريمة في الجو
٢٧	جريمة في الصحراء
٢٨	جريمة في قطار الشرق
٢٩	جريمة قتل
٣٠	الجريمة الكاملة
٣١	جريمة الكوخ
٣٢	الجريمة المستحيلة
٣٣	الجريمة المعقّدة
٣٤	جريمة ملاك
٣٥	جزيرة الموت
٣٦	جنون الانتقام
٣٧	الحادث
٣٨	الحب الذي قتل
٣٩	الحب والجريمة
٤٠	ذات القناع الأسود
٤١	ذات الوجهين
٤٢	رجل بلا وجه
٤٣	خاتمة المأساة
٤٤	رصاصة في الرأس

٤٥	رعب في المدينة
٤٦	الزائر الغامض
٤٧	ساعة الصفر
٤٨	سر امرأة
٤٩	سر الجريمة
٥٠	سر القصر الكبير
٥١	سر المنبِّهات السبعة
٥٢	سيدة القصر
٥٣	شاهدة إثبات
٥٤	الشاهد الصامت
٥٥	الشاهدة الوحيدة
٥٦	الشبح القاتل
٥٧	شرخ في المرآة
٥٨	
٥٩	الضحية
٦٠	الطائر الجريح
٦١	الطائرة المفقودة
٦٢	الطيور السوداء
٦٣	عدو بلا وجه
٦٤	العميل السّري
٦٥	العنكبوت
٦٦	الفخ
٦٧	القاتل الرابع
٦٨	القاتل الغامض
٦٩	القاتل والمقتول
٧٠	قاتل المليونير
٧١	القصاص
٧٢	القصر الرهيب
٧٣	القضية الكبرى
٧٤	الكأس الأخيرة
٧٥	كلب الموت
٧٦	ليل ليس له آخر
٧٧	مأساة ذات ثلاثة فصول
٧٨	الماضي الرهيب
٧٩	المتهم البريء
٨٠	المتهمة البريئة
٨١	المصيدة
٨٢	مغامرات بوارو
٨٣	مفتاح الجريمة
٨٤	الموت المقنع
٨٥	موعد في بغداد
٨٦	موعد مع الموت
٨٧	نادي الجريمة
٨٨	الوصية المفقودة
٨٩	وجه في المرآة
٩٠	الياقوتة الحمراء
٩١	اللغز المثير
٩٢	غريم بوارو

اقطع الكوبون ، وضع علامة ☒ على رقم الروايات التي تريدها، وأرسله مع
الشيك بالبريد المسجل (المضمون) على العنوان التالي :

دار ميوزيك : ص.ب 374 – جونيه – لبنان

ملاحظة : جميع الحوالات والشيكات باسم : **دار ميوزيك**

وان يكتب على الشيك عبارة " <u>يصرف للمستفيد الأول فقط</u> "

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠
٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠
٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠
٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠
٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠
٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠
٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠
٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠
٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠

الاســـم : ....

العـنوان : ....

ص .ب : .... **المدينة :** .... **الرمز البريدي :** ....

الـدولــة :

مرسل طيه شيك بمبلغ : .... **دولار امريكي .**